

هُوَ اللَّهُ لَا نُحْصِي لآلَائِهِ شُكْرًا

وَكَيْفَ نُؤَدِّيهِ بِشُكْرِ حَقْوَقِهِ

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

لَهُ كُلُّ مَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْهُمْ وَمَهْمَا يَكُنْ لَهُمْ

غَنِيٌّ عَلَى الْإِطْلَاقِ عَنْ كُلِّ كَائِنٍ

هُمُ الْكُلُّ مَقْهُورُونَ تَحْتَ قَضَائِهِ

وَكُلُّ فِعَالٍ الْفَاعِلِينَ فِعَالُهُ

لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَى

وَنِعْمَتُهُ بِالشُّكْرِ تَسْتَجِبُ الشُّكْرًا

وَأَنَّ لَهُ فِي خَلْقِهِ النِّفْعَ وَالضَّرَّاءَ

وَمَا لِسِوَاهِ فِي الْوَرَى ذَرَّةٌ صَغْرَى

فَإِنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرَا

وَكُلُّ لَهُ بِالْفَقْرِ قَدْ أَحْرَزَ الْفَخْرَا

وَلَنْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْفَعُوا عَنْهُمْ الْقَهْرَا

إِذَا فَعَلُوا خَيْرًا وَإِنْ فَعَلُوا شَرًّا

وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْهُمْ سِوَى كَسْبِ فَعْلِهِمْ
لِإِحْسَانِهِ كُلُّ الْوَرَى كُلُّ لِحَّةٍ
وَهُمْ دَرَجَاتٌ يُجْتَبَى مِنْ يَشَاءُ
وَيُخْتَصُّ مَنْ يَخْتَارُهُ بِشَفَاعَةٍ
وَمَنْ يَجْرُ الْوَهَابِ عَنْ فَيْضِ فَضْلِهِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ الْمُصْطَفَى خَيْرَ رَسَلِهِ
مُحَمَّدٌ الْمُخْتَارُ مِنْ مَعْدِنِ الْوَرَى
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَقْدَارُ فَضْلِهِ

فَنَالُوا بِهِ إِثْمًا وَنَالُوا بِهِ أَجْرًا
مَحَاوِيحُ لَوْلَا لَطْفُهُ انْعَدَمُوا فَوْرًا
فَيَمْنَحُهُ قُرْبًا وَيَمْنَحُهُ بَرًّا
إِذَا شَاءَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ شَاءَ فِي الْآخِرَى
فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ مَنْ يَزْعُمُ الْحَجْرَا
وَأَعْظَمُهُمْ فَضْلًا وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرَا
كَمَا اخْتَارَ مِنْ بَيْنِ الْحَصَا الْحَاذِقِ الدَّرَا
صَلَاةً تَفُوقُ الْعَدَّ وَالْحَدَّ وَالْحَصْرَا

وَبَعْدُ فَإِنِّي سَقْتُ نَحْوَ عِدَاتِهِ

بِإِمْدَادِهِ أَقْسَامَهَا خَمْسَةً أَتَتْ

أَتَى الْمُصْطَفَى وَالنَّاسُ فِي لَيْلٍ غَيْبِهِمْ

أَنَا بَدِينٍ فَاقَ حُكْمًا وَحِكْمَةً

أَتَى بِكِتَابِ اللَّهِ لِلنَّاسِ مُعْجَزًا

وَكَلُّ عُلُومِ الْخَلْقِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ

وَقَدْ فَضَّلَ الْقُرْآنُ كُلَّ مَقَالَةٍ

وَلَوْ قَصَدَتْ كُلُّ الْخَلَائِقِ فَهْمُهُ

عَسَاكَرُ تُرْدِيهِمْ وَإِنْ حُسِبَتْ شِعْرًا

مُنْظَمَةً قَدْ أَحْرَزَتْ كُلَّهَا النَّصْرَا

فَأَشْرَقَ فِي أَفْقِ الْهُدَى بَيْنَهُمْ بَدْرًا

وَقَدْ قَهَرَ الْأَدْيَانَ بُرْهَانُهُ قَهْرًا

وَضَمَّنَ كُلَّ الْعِلْمِ مِنْهُ لَنَا سِفْرًا

تُرَى قَطْرَةً إِنْ قَابَلْتَ ذَلِكَ الْبَحْرَا

كَمَا فَضَّلَ الْمَوْلَى خَلَائِقَهُ طَرًّا

لَمَا فَهِمُوا مِنْ عَشْرِ أَسْرَارِهِ الْعُشْرَا

بِقَدْرِ التَّقَى لِلَّهِ يَفْهَمُ سِرَّهُ

وَسِتِّهِ تَرَبُّلُهُ وَهِيَ شَرْحُهُ

وَمَا نَطَقَ الْمُخْتَارُ قَطُّ عَنِ الْهَوَى

هُمَا يَتَرَا أَفْقَ الْهُدَى كُلِّ مُهْتَدٍ

وَمَا كُلُّ مَعْنَى مِنْهُمَا مُتَعَسِّرٌ

فَمَا كَانَ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ ظَاهِرًا

وَمَا أَحْتِجَ مِنْهُ لِاجْتِهَادٍ فَإِنَّا

مُحَمَّدُ النِّعْمَانُ أَحْمَدُ مَالِكُ

وَمَا بِسَوَى تَقْوَاهُ يُفْهَمُ سِرًّا

وَمَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ فَهُوَ بِهِ أَدْرَى

وَمَا بِسَوَى وَحْيٍ لَهُ أَعْمَلَ الْفِكْرَا

يَرَى مِنْهُمَا الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ وَالْبَدْرَا

لِكُلِّ امْرئٍ لَكِنْ مَعَ عُسْرِهِ يُسْرَا

فَهَمْنَاهُ لَا نَحْتَاجُ تَقْلِيدَنَا حَبْرَا

بِأَحْكَامِهِ نَقْفُوا نَمْتَنَا الْغُرَا

بُحُورُ عِلْمٍ كَمْ لَنَا قَذَفْتَ دَرَا

نُجُومٌ هَدَى شَمْسُ النَّبِيِّ تَمَدَّهُمْ

لِطَاعَةِ مَوْلَاهُمْ وَتَقْوَاهُ لَازَمُوا

فَعَلَّمَهُمْ أَحْكَامَهُ مِنْ كِتَابِهِ

وَأَشْهَدَهُمْ مَا لَمْ يَرِدْ فِيهِمَا مَعًا

فَاقْوَالُهُمْ مِنْهُ وَلَيْسَ لَهُمْ سِوَى

وَكَوَلٍ خِلَافٍ جَاءَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ

فَبَعْضُ أَتَانَا الْقَوْلُ عَنْهُ مُخَفَّفًا

فَكُلُّ عَلَى حَقٍّ وَمَنْ قَالَ بَعْضَهُمْ

بِأَنْوَارِهِمْ لِلنَّاسِ ثَغْرُ الْهَدَى اقْتَرَا

وَصَامُوا وَقَامُوا دَاوَمُوا الْفِكْرَ وَالذِّكْرَا

وَأَفْهَمَهُمْ مِنْ سَنَةِ الْمُصْطَفَى السِّرَا

بِنُورِهِمَا قَاسُوا عَلَى قَدْرِهِ قَدْرَا

مَظَاهِرِهِمْ أَجْرَى بِهَا اللَّهُ مَا أَجْرَى

لَنَا رَحْمَةٌ مَعَ أَنَّهُ قَدْ أَتَى نَزْرَا

وَبَعْضٌ يَقْصِدُ الْأَجْرَ قَدْ شَدَّدَ الْأَمْرَا

عَلَى خَطَاٍ قَدْ قَالَ إِنَّ لَهُ أَجْرَا

فَمَا اخْتَفَوْا فِي الدِّينِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ

أُولَئِكَ أَهْلُ الذِّكْرِ كَانُوا حَيَاتِهِمْ

وَمَا الْقَصْدُ إِلَّا عِلْمُهُمْ وَهُوَ حَاصِلٌ

بِهِمْ أُمَّةٌ الْمُخْتَارِ فِي دِينِهَا اقْتَدَتْ

رَوَاهَا بِحُسْنِ الضَّبْطِ عَنْهُمْ أُمَّةٌ

وَمَا هِيَ إِلَّا مِنَ شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ

وَقَدْ أَشْبَهَ الْإِسْلَامَ بَيْتاً مُرَبَّعاً

مَذَاهِبُهُمْ مِثْلُ الْمَرَايَا صَقِيلَةٌ

وَمَا ابْتَدَعُوا فِي الدِّينِ نَهْيًا وَلَا أَمْرًا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى لَهُمْ رَبُّهُمْ ذِكْرًا

إِذَا خَاطَبُونَا أَوْ قَرَأْنَا لَهُمْ سَفَرًا

مَذَاهِبُهُمْ لِلْحَشْرِ لَا تَفْقَدُ النِّشْرًا

وَقَدْ مَلَأُوا الْأَقْطَارَ مِنْ نَشْرِهَا عَطْرًا

جَدَاوِلُ تُجْرِي كُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ مَجْرَى

عَلَيْهَا اسْتَوَى قَصْرًا وَقَامَ بِهَا حَصْرًا

بِهَا ارْتَسَمَ الْقُرْآنُ وَالسَّنَّةُ الْغَرًّا

فَأَقْوَالُهُمْ آيَاتُهُ وَحَدِيثُهَا

قَدْ اقْتَبَسُوا مِنْ نُورِ أَحْمَدِ نُورَهُمْ

وَمِنْ بَعْدِهِمْ جَاءُوا بِمِقْدَارِ بَعْدِهِمْ

بِنِسْبَةِ بَعْدِ الشَّمْسِ يَحْصُلُ نُورُهَا

وَكُلِّ إِمَامٍ جَاءَ عَنْهُمْ وَصِيَّةٌ

إِذَا صَحَّ قَوْلُ الْمُصْطَفَى فَهُوَ مَذْهَبِي

وَمَا زَالَتْ الْحِفَاطُ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ

شَرِيعَةٌ خَيْرِ الْخَلْقِ شَمْسٌ مُنِيرَةٌ

بِمَعْنَاهُمَا لَكِنْ عِبَارَاتُهُمْ أُخْرَى

فَبَانَ لَهُمْ مَا فِي شَرِيعَتِهِ أُجْرَى

عَنِ الْمُصْطَفَى صَارَ الظَّلَامُ لَهُمْ سِتْرًا

لِقَوْمٍ غَدَا قَلَّا لِقَوْمٍ غَدَا كَثُرَا

لِأَصْحَابِهِ مَا بَيْنَهُمْ لَمْ تَنْزَلُ تُقْرَا

وَمَا قَلَّتْهُ مِنْ قَبْلِ فَارَمُوا بِهِ الْجُدْرَا

تُحَرَّرُهُ حَتَّى غَدَا ذَهَبًا نُضْرَا

وَأَنْوَارُهَا قَدْ عَمَّتِ الْبَرَّ وَالْبَحْرَا

أضاءت بها الأكوأُن بعدَ ظلامِها
لقد أشرقت فيهم وفي كلِّ مؤمنٍ
ولكن بقدرِ القابليةِ نورُها
وهل يستوي أن قابلت بشعاعها
وأجهلُ خلقِ الله من قال إنها
وكم من إمامٍ جاء في كلِّ مذهبٍ
وما منهمُ فردٌ بدعوى اجتهادهِ
بلى من طريقِ اللولايةِ واضحٍ

وكم ذا أمدت من أمتنا بدرا
وأعطت لكلِّ من أشعتها قدرا
يكونُ قليلاً بالمقابلِ أو نزرا
جواهرهم أو أنها قابلت صخرها
باشراقها ساوت مع الحجرِ الدرأ
كبيرٍ به قد أحرز المذهبَ الفخرأ
سَمعنا له في غير مذهبهِ مسرى
يجوزُ بقاءُ الإجهادِ ولا حجرا

وَأَمَّا طَرِيقُ الدَّرْسِ بِالنَّفْسِ وَالْهَوَى

قَدْ اجْتَهَدُوا فِيهَا بِحُكْمِ نَفْسِهِمْ

نَعَمْ كُلُّ قَرْنٍ يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ

وَذَلِكَ إِمَّا وَاحِدٌ أَوْ جَمَاعَةٌ

عَلَى الْكُلِّ مِنْ مَوْلَاهُ هَتَانُ رَحْمَةٌ

وَكَمِ مِنْ قُرُونٍ قَدْ تَوَالَتْ وَلَمْ يُجَلِّ

فَكَيْفَ ادَّعَاهُ الْجَاهِلُونَ بَعْصَرْنَا

وَأَوْلَهُمْ قَدْ كَانَ شَيْخًا مُشْرَدًا

فَكَمْ أَوْصَلَتْ لِّلسَّالِكِينَ بِهَا شَرًّا

فَنَالُوا بِهَا مِنْهَا الْكِبَائِرَ وَالْكَبْرَا

يُجَدِّدُ أَمْرَ الدِّينِ يَنْصُرُهُ نَصْرًا

بِكثْرَةٍ عِلْمٍ أَوْ بِمَنْقَبَةٍ أُخْرَى

تُمَازِجُ مِنْهُ الرُّوحَ وَالْجِسْمَ وَالْقَبْرَا

بِدَعْوَى اجْتِهَادٍ مُطْلَقٍ عَالَمٍ فِكْرَا

فَمَا أَقْبَحَ الدَّعْوَى وَمَا أَفْظَعَ الْأَمْرَا

بِهِ مَلِكُ الْأَفْغَانِ أَجْرَى الَّذِي أَجْرَى

أَرَادَ فَسَادًا فِي دِيَانَةِ قَوْمِهِ
تَسَمَّى جَمَالَ الدِّينِ مَعَ قَبْحِ فِعْلِهِ
يَقُولُونَ هَذَا الْمُصْلِحُ الْأَكْبَرُ الَّذِي
مَذَاهِبُ أَهْلِ الْعِلْمِ تَمُنُّ تَقَدَّمُوا
وَأَبْدَعَ هَذَا الشَّيْخُ لِلنَّاسِ مَذْهَبًا
غَدَا كُلُّ عَبْدٍ فِيهِ صَاحِبُ مَذْهَبٍ
فَقَدْ كَانَ تَنْوَرًا لَطُوفَانِ غِيْهِمْ
أَتَى مِصْرَ مَطْرُودًا فَعَاثَ بِقَطْرِهَا

عَلَى قَرْبِهِ مِنْهُ فَأَبْعَدَهُ قَهْرًا
كَمَا وَضَعُوا لَفْظَ الْمَفَازَةِ لِلصَّحْرَا
بِهِ صَارَ حُكْمُ الدِّينِ فِي عَصْرِنَا يُسْرًا
تُؤَافِقُ أَحْوَالَ الزَّمَانِ الَّذِي مَرًّا
يُؤَافِقُ فِي تَيْسِيرِ أَحْكَامِهِ الْعَصْرَا
بِهِ صَارَ فِي الْأَحْكَامِ مُجْتَهِدًا حَرًّا
وَلَكِنْ مَحَلُّ الْمَاءِ فَارَ لَهُمْ جَمْرًا
فِيَا قَبْحَهُ شَيْخًا وَيَا حُسْنَهُ قَطْرًا

وَكُنْتُ بِذَلِكَ الْحِينِ فِيهَا جَاوِرًا
بِتَارِيخِ سِتِّ وَالْثَمَانِينَ قَدْ تَلَّتْ
حَضَرْتُ بِفَقْهِ الشَّافِعِيِّ خَطِيبُهُ
وَجَاءَ جَمَالُ الدِّينِ يَوْمًا لِدَرْسِهِ
فَفَاضَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِ شَيْخِنَا
وَإِذِ شَمَّ مِنْهُ الشَّيْخُ رِيحَ ضَلَالِهِ
وَذَاكَرْتَهُ يَوْمًا فَأُخْبِرَ أَنَّهُ
وَمِنْ بَعْدِ هَذَا حَازَ فِي مِصْرَ شُهْرَةً

بِأَزْهَرِهَا صَاحِبَتْ أُنْجُمُهُ الزُّهْرَا
مَعَ الْمَائِتِينَ الْأَلْفَ فِي الْهَجْرَةِ الْغُرَا
عَلَى شَيْخِ شَرِيبِنِ فَالْفَيْتُهُ بَحْرَا
فَأَلْقَى عَلَى الْأَسْتَاذِ أَسْئَلَةً تَتْرَى
سُيُولُ أَرْتَهُ عِلْمُهُ عِنْدَهُ قَطْرَا
وَإِلْحَادِهِ أَوْلَادَهُ مَعَ طَرْدِهِ زَجْرَا
كَأَسْتَاذِنَا لَمْ يُلْفِ فِي مِصْرِهِ حَبْرَا
وَأَلْقَى دُرُوسًا لِلْفَلَّاسِفِ فِي مِصْرَا

وَحِينَ آتَاهُ ذَلِكَ الْحَيْنَ عَبْدُهُ

أَسْرَ لَهُمْ مَحْوَ الْمَذَاهِبِ كُلِّهَا

فَلَمْ يَلْفِ مِنْهُمْ غَيْرَ خَلٍّ مُوَافِقٍ

فَسَاقَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ جَحَافِلًا

أَغَارُوا عَلَى الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

شَيْاطِينُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ تَفَرَّقُوا

قَدْ اخْتَصَرُوا بِالْجَهْلِ دِينَ مُحَمَّدٍ

لَقَدْ زَعَمُوا إِصْلَاحَهُ بِفَسَادِهِمْ

وَأَمثالُهُ أَفْشَى لَهُمْ ذَلِكَ السَّرًّا

لِيَرْجِعَ هَذَا الدِّينُ فِي زَعْمِهِ بِكَرَا

سَمِيعٍ لَهُ قَوْلًا مُطِيعٍ لَهُ أَمْرًا

يَرَى فِرْقَةً سَارَتْ فُتِّبَعَهَا أُخْرَى

فَمَا تَرَكَوْا نَجْدًا وَمَا تَرَكَوْا غُورًا

بِإِغْوَائِهِمْ كَمَا أَفْسَدُوا جَاهِلًا غَمْرًا

وَمَا تَرَكَوْا مِنْ عَشْرِ أَحْكَامِهِ الْعُشْرَا

وَكَمَا حَمَلُوهُ مِنْ ضَلَالَاتِهِمْ إِصْرًا

كثيران قصر أفسدت فيه جهدها
فما بالهم لا يصلحون نفوسهم
وقد جاء في القرآن ذكر فسادهم
وفي دره المنثور سلمان قائل
وها هم أتونا مثل ما قال ربنا
خارج لكن شيخهم غير نافع
وقد جاء في الأخبار وصف مروقهم
بفعل البرستت اقتدوا باجتهدهم

ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصر
أما هي بالإصلاح من غيرها أخرى
وزعمهم الإصلاح في السورة الزهرا
هم بعد لم يأتوا فخسرا لهم خسرا
بأوصافهم فاعجب لها آية كبرى
ولكنه قد كان أزرق مغبرا
من الدين مثل السهم للجهة الأخرى
لقول رسول الله لو دخلوا جحرا

أُولَئِكَ قَدْ أَلْغَوْا زَوَائِدَ دِينِهِمْ
قَدِ اجْتَهَدُوا فِي دِينِهِمْ حِينَما رَأَوْا
وَمَهْمَا يَكُنْ عَذْرٌ لَهُمْ بِاجْتِهَادِهِمْ
وَمَعَ كَوْنِهِمْ مِثْلَ الْبُرْسْتِ فَارْقَوْا
فَقَدِ قَلَدُوا أَهْلَ الْجَامِعِ مِنْهُمْ
بِهِ سَنَنَ الْقَوْمِ النَّصَارِيِّ تَتَبَعُوا
فَلَلَهُ دَرُّ الْمُصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى
أَمِنْ بَعْدِ قَوْلِ اللَّهِ أَكْمَلْتُ دِينَكُمْ

وَقَدْ ضَلُّوا فِي ذَلِكَ الْقَسِّ وَالْحَبْرَا
مَجَامِعَهُمْ زَادَتْهُ فِي نَكَرِهِ نَكْرًا
فَنُجِّهْتَهُمْنَا الْيَوْمَ قَدْ فَقَدُوا الْعُذْرَا
أَتَمَّتْهُمْ كُلُّ غَدَا عَالِمًا حَبْرَا
بِمُؤْتَمِرٍ لِلْبَحْثِ فِي الدِّينِ فِي مِصْرَا
عَلَى الْإِثْرِ لَمْ يَعِدُوا ذِرَاعًا وَلَا شَبْرَا
فَقَدِ طَابَقَتْ أَخْبَارُهُ كُلَّهَا الْخُبْرَا
يُرِيدُونَ فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يُحْدِثُوا أَمْرَا

يَقُولُونَ لَا نَزِمِي كِتَابًا وَسَنَّةً
وَذَلِكَ حَقُّ قَصْدُهُمْ فِيهِ بَاطِلٌ
أَرَادُوا بِهِ مِنْ جَهْلِهِمْ بِنَفْسِهِمْ
فَصَارَتْ جَمِيعُ النَّاسِ سَاخِرَةً بِهِمْ
وَمَا أَخَذَتْ كُلُّ الْمَذَاهِبِ عِنْدَنَا
أَثْمَتَنَا الْأَخْيَارُ قَدْ شَرَحُوهُمَا
وَأَشَقَى الْوَرَى مَنْ ضَلَّ فِي لَيْلِ غِيَّهِ
فَكُلُّ دَعَاوِي الْإِجْتِهَادِ نَزْدُهَا

وَتَبِعُ زَيْدًا فِي الدِّيَانَةِ أَوْ عَمْرًا
وَخَيْرُ كَلَامٍ قَدْ أَرَادُوا بِهِ شَرًّا
لِتَرْفَعَ دَعْوَى الْإِجْتِهَادِ لَهُمْ قَدْرًا
كَمَا يَدَّعِي الْحِجَامُ سُلْطَنَةً كَبْرَى
بِغَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ وَالسَّنَةِ الْغَرًّا
وَهُمْ بِكَلَامِ اللَّهِ وَالْمُصْطَفَى أَدْرَى
وَمَا قَلَدَ السَّارِي الَّذِي شَاهَدَ الْبَدْرَا
وَنَزِمِي بِهَا بَحْرًا وَنَزِمِي بِهَا بَرًّا

وَمَا يَدْعِيهِ الْيَوْمَ غَيْرُ حَتَالَةٍ
قَدْ اجْتَهَدُوا فِي خِذْلِ دِينِ مُحَمَّدٍ
قَدْ اجْتَهَدُوا أَنْ لَا تَكْلِيفَ عِنْدَهُمْ
وَمَا الْعِلْمُ شَرْطُ الْاجْتِهَادِ وَلَا التَّقَى
فَيَفْعَلُ فِي الْأَحْكَامِ فَعْلَ دَوَابِهِ
وَأَقْوَى شُرُوطِ الْاجْتِهَادِ لَدَيْهِمْ
وَكَمْ ذَا رَأَيْنَا فِي الْأَلَى يَدْعُونَهُ
نَعْمَ جَهْلُهَا جَهْلٌ بَسِيطٌ وَجَهْلُهُمْ

بِأَسْفَلِ حَوْضِ الْعِلْمِ كَدَّرَتْ الْمَجْرَى
وَإِنْ زَعَمُوا بِالْاجْتِهَادِ لَهُ نَصْرًا
فَصَارُوا إِبَاحِيِّينَ لَا نَهْيَ لِأَمْرًا
لَدَيْهِمْ وَلَكِنْ كُلُّ عَبْدٍ غَدَا حُرًّا
إِذَا أُطْلِقَتْ مِنْ دُونِ قَيْدٍ إِلَى الصَّحْرَا
وَقَاحَةٌ وَجَهٌ حِدَّةٌ يَفْلُقُ الصَّخْرَا
تُوسًا وَكَمْ ذَا قَدْ رَأَيْنَا بِهِمْ حُمْرًا
بِتَرْكِيبِهِ قَدْ صَارَ أَقْوَاهُمَا ضَرًّا

وَقَدْ جَاوَزُوا أَطْوَارَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ
فَمَا قَطُّ شَاهَدْنَا حِمَارًا مُسَابِقًا
وَهُمْ لَوْ تَعَدَّوْا أَلْفَ طُورٍ وَمِثْلَهَا
يَقُولُونَ إِنَّا كَالْأَنْثَمَةِ كَلْنَا
لَقَدْ أَخْطَوْا أَيْنَ الثَّرِيَّا مِنَ الثَّرَى
نَعَمْ مِثْلَهُمْ وَزَنًا بوزنٍ وَصُورَةً
وَلَوْ تَمَّ مِرَاةٌ يَرُونَ نَفْسَهُمْ
يَقُولُونَ أَغْنَانَا كِتَابٌ وَسَنَةٌ

عَلَى حَالِهَا مَا جَاوَزَتْ مِثْلَهُمْ طُورًا
جَوَادًا وَتَيْسًا صَارِعَ اللَّيْثَ وَالنِّمْرَا
حُدُودًا وَأَطْوَارًا لَمَّا جَاوَزُوا الْقَعْرَا
رِجَالٌ وَمَا زَادُوا عَلَى أَحَدٍ ظَفْرَا
وَمَا لِبَغَاثِ الطَّيْرِ أَنْ يَشْبَهَ النَّسْرَا
عَلَى صُورَةٍ كَالْتَرَبِ قَدْ أَشْبَهَ التَّبْرَا
بَهَا لِرَأُوهَا بَيْنَ أَهْلِ النَّهْيِ ذَرَا
وَلَمْ يُبْقِيَا فِينَا لِغَيْرِهِمَا فَقْرَا

وَفِي الْأَلْفِ مِنْهُمْ لَيْسَ يُوجَدُ حَافِظٌ
وَمَا قَرَّوَهُ مِنْهُمَا عَن جِهَالَةٍ
وَمَا نَهَىٰ عَنْهُ وَمَا أَمَرَ بِهِ
تَرَاهُمْ إِبَاحِيَّيْنَ أَوْ هُمْ نَظِيرَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤْتَىٰ فِي جِدَالِهِ
فَمَنْ قَالَ صَلَّىٰ قَالَ قَائِلُهُمْ لَهُ
وَإِنْ قِيلَ لَا تَشْرَبْ يَقُولُ شَرِبْتُهَا
فِي جَهْرٍ كُلِّ الْمَعَاصِي مَجَادِلًا

لِجِزَةِ حَدِيثِ قَلِّ أَوْ سُورَةِ تُقْرَأُ
فَلَا فَاهِمٌ مَعْنَى وَلَا عَالِمٌ سِرًّا
فَلَا سَامِعٌ نَهْيًا وَلَا طَائِعٌ أَمْرًا
إِذَا كُنْتَ عَنِ أَسْرَارِهِمْ تَكْشِفُ السِّتْرَ
مِنَ الْكُذْبِ وَالتَّلْفِيقِ مَهْمَا أَتَىٰ نَكْرًا
يَجُوزُ لَنَا فِي الْبَيْتِ نَجْمُهَا قَصْرًا
بِقَصْدِ الشِّفَا أَوْ قَالَ لَيْسَ اسْمُهَا خَمْرًا
بِمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ سِرًّا

فَلَا صَامَ لَا صَلَّى وَلَا حَجَّ لَا حَبِي

وَفِي الْأَلْفِ مِنْهُمْ وَاحِدٌ رَبَّمَا أَتَى

وَأَخْبِرَنِي مَنْ لَا أَشْكُ بِصَدَقِهِ

وَلَا زَمَهُ حَتَّى أَتَى بَعْدُ مَسْجِدًا

وَأَخْرَجَهُمْ قَدْ أَقَامَ صَلَاتَهُ

عَلَى وَجْهِهِ كُلِّ مَنْ ظَلَمَ عِلْمًا

بِهِمْ غُرْبَةُ الدِّينِ اسْتَبَانَتْ بَعْصَرْنَا

يَقُولُونَ عَصَرَ النُّورِ فِيهِ تَنَوَّرُوا

فَقِيرًا وَإِنْ أَوْدَى بِهِ فَقْرُهُ بَرًّا

مَسَاجِدَنَا لَكِنْ إِذَا كَانَ مُضْطَرًّا

بِأَنْ قَدْ رَأَى مِنْ بَالٍ مِنْهُمْ بِلَا اسْتِئْزَارٍ

فَصَلَّى وَلَمْ يُحَدِّثْ مِنَ الْحَدِيثِ الطُّهْرًا

بِدُونَ اغْتِسَالٍ مَعَ جَنَابَتِهِ الْكُبْرَى

بِهِ عَرَفَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْأَمْرًا

فِيَا قُبْحَهُمْ قَوْمًا وَيَا قُبْحَهُ عَصْرًا

وَلَكِنَّهُ مِنْ نُورَةٍ تَخْلُقُ الشُّعْرًا

وَقَدْ حَلَقْتَ أَدْيَانَهُمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ

مَعَادِنُ سَوْءٍ يَتَّقِي الْمَرْءُ شَرَّهُمْ

وَيَجْلِبُ مِغْنَاتِيْسَ إِحَادِهِمْ لَهُمْ

عُدَاةٌ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ قُلُوبِهِمْ

ذَنَابٌ عَلَى الْإِسْلَامِ صَالُوا وَمَا أَكْفُوا

مَقَارِيضُ أَعْرَاضٍ بِالسَّنَةِ لَهُمْ

لَهُمْ أَوْجُهُ كَالصَّخْرِ مِثْلَ قُلُوبِهِمْ

وَإِنِّي وَإِنْ أَحْكَمَ لظَاهِرِ حَالِهِمْ

فَمَا تَرَكْتَ مِنْ نُورِ إِيمَانِهِمْ إِثْرًا

يُجَامِلُهُمْ جَهْرًا وَيَلْعَنُهُمْ سِرًّا

مَنْ النَّاسِ لِعَنَاتٍ وَإِنْ لَعَنُوا الْغَيْرَا

لَهُمْ مُلَّتْ حَقْدًا وَإِنْ أَظْهَرُوا الْبِشْرَا

بِأَيَابِهِمْ حَتَّى بِهِ أَنْشَبُوا الظَّفْرَا

حَدَادٍ بِهَا قَدْ أَشْبَهُوا الْجِرْذُ وَالْفَأْرَا

وَلَكِنْ بِهَا مَاءُ الْحَيَا مَا لَهُ مَجْرَى

بِإِسْلَامِهِمْ بِالْقَوْلِ لَا أَكْفَلُ السِّرَّا

فَفِي وَجْهِهِ كُلِّ قَدِّ بَدَأَ مِنْ ظِلَامِهِ
وَلَمْ أَجْتَمِعِ وَاللَّهِ مِنْهُمْ بِوَاحِدٍ
وَلَمْ أَسْمَعْ دَعْوَاهُ إِلَّا مَقْتَهُ
وَلَمْ أَرَ إِلَّا نَاقِصَ الدِّينِ وَالْحِجَابِ
وَأَعْدَائِهِمْ مِنْ بَيْنِنَا كُلِّ عَالِمٍ
وَإِنْ كَانَ مَشْهُورَ الْوَالِيَةِ ضَمَّنْتَ
وَأَحْبَابُهُمْ أَهْلُ الْغَوَايَةِ مِثْلَهُمْ
مُنَاسِبَةٌ جَرَّتْ لِكُلِّ مُنَاسَبِ

دُخَانُ يُرِينَا أَنْ فِي قَلْبِهِ جَمْرًا
وَذَاكِرَتُهُ إِلَّا وَدَدْتُ لَهُ الْقَبْرَا
وَالْأَقْرَأْتُ الْحَمَقَ فِي وَجْهِهِ سَطْرَا
بِهِمْ فَاسِدَ الْأَفْكَارِ مِنْ أَدَبِ صَفْرَا
وَلَا سَيِّمًا إِنْ كَانَ فِي فَتْهِهِ بَحْرَا
جَوَانِحُهُمْ مِنْ بَغْضِهِ الْحِصَّةَ الْكَبْرَى
وَمَهْمَا يَكُنْ أَعْوَى يَكُنْ عِنْدَهُمْ أَحْرَى
مُنَاسِبَةٌ إِنْ سَاءَ ذَلِكَ أَوْ سَرَا

لَقَدْ أَحْرَزُوا مَا شَانَ مِنْ كُلِّ بَدْعَةٍ

جِبِلَّائِهِمْ بِالسَّوْءِ قَدْ جُبِلَتْ وَهُمْ

أَوْلَاكَ أَنْصَارُ الضَّلَالِ وَحِزْبُهُ

فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهُمْ بِفَاجِرٍ

فَذَلِكَ شَيْءٌ جَاءَ ضِدَّ طِبَاعِهِمْ

وَكَمَ أَيْدِ الْإِسْلَامِ رَبِّي بِفَاجِرٍ

أَشَدُّ مِنَ الْكُفَّارِ فِينَا نَكَايَةٌ

مِنَ الْكُفْرِ ذُو الْإِسْلَامِ يَأْخُذُ حِذْرَهُ

وَمَا أَحْرَزُوا مِنْ فَضْلِ أَصْحَابِهَا الْعَشْرَا

عَلَى خُلُقِ الْأَشْرَارِ قَدْ فَطَرُوا فَطْرَا

وَإِنْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مِنْهُمْ لَنَا نَصْرَا

وَإِنْ أَنْتَ قَدْ شَاهَدْتَ مِنْ فَعْلِهِ الْخَيْرَا

وَقَدْ فَعَلُوا أَضْعَافَ أَضْعَافِهِ شَرًّا

فَتُهْدِي لَهُ لَا الْفَاجِرَ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَا

وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ فِي دِيَانَتِنَا ضَرًّا

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَأْخُذُ الْحِذْرَا

مُعَاشِرُهُمْ يَسْرِي لَه مِنْ ضَلَالِهِمْ

عَلَى دِينِنَا سَاقُوا كِتَابَ كِتَابِهِمْ

بِهَا فَتَحُوا لِلنَّاسِ بَابَ ضَلَالِهِمْ

بِهَا خَاطَبُوا بِالْحَقِّ بَاطِلَ غَيْهِمْ

لَقَدْ أَخْرَجُوا فِي صُورَةِ النَّصْحِ كَذِبَهَا

وَقَدْ دَوَّنُوا فِيهَا مَذَاهِبَ غَيْهِمْ

فَصَارَتْ لَهُمْ كَالْأُمِّ أَحْكَامُهُمْ بِهَا

وَنَسَبَتْهُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ مِثْلَهَا

مَفَاسِدُ تَرْدِيهِ وَيَحْسِبُهَا خَيْرًا

وَفِي حَرْبِهِ جَاءَتْ جِرَائِدُهُمْ تَتْرَى

بِهَا رَفَعُوا الدُّنْيَا بِهَا خَفَضُوا الْأُخْرَى

بِهَا مَزَجُوا الْإِسْلَامَ بِالْمَلَلِ الْأُخْرَى

بِبَهْرَجَةٍ غَرَّوْا بِهَا الْجَاهِلَ الْغَرَّاءَ

وَفِي ضَمْنِهَا دَسَّوْا الدَّسَائِسَ وَالْمَكْرَاءَ

مُدُونَةً لِكُنْهَافِهَا وَكَدَّتْ شَرًّا

لَدَى كُتُبِهِمْ كَالشَّهْدِ قَسَتْ بِهِ الصَّبْرَاءَ

فِيَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ يَا خَيْرَ أُمَّةٍ
عَلَيْكُمْ بِكُتُبِ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ
سَفِينَةُ دِينِ اللَّهِ فِيهَا نَجَاتُكُمْ
مَذَاهِبُكُمْ نَعَمْ الْحِصُونُ لَدِينِكُمْ
أَلَا فَاحْذَرُوا الْأَسَدَ الضُّوَارِيَّ مَرَّةً
مَجَازِيمٌ مِنْ دَاءِ الضَّلَالَةِ كُلُّهُمْ
تَجَارَتْ بِهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ كَالَّذِي جَرَى
وَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِازْدِيَادٍ كَانَتْهُمْ

بِسَبِيلِ الْهُدَى تَقْفُوا أُمَّتَهَا الْغُرَا
وَمِنْهُمْ وَمِنْ أَقْوَالِهِمْ فَالزَّمُوا الْحَذْرَا
إِذَا فَارَ تَنُورُ الْفَسَادِ لَكُمْ فَوْرَا
فَلَا تَقْفُرُوا عَنْهَا وَلَا تَبْعُدُوا قِرَا
وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَارِقِينَ احْذَرُوا عَشْرَا
فَمَا أَحَدٌ مِنْ دَائِهِ أَبَدًا يَبْرَا
بِهِ كَلْبٌ يَعْدِي إِذَا نَهَشَ الْغَيْرَا
أَبَالِسَةٌ بِالْحِكِّ قَدْ وُلِدَتْ أُخْرَى

وَكَلَّهْمُ رَجِسٌ وَلَكِنْ دُعَاتِهِمْ

فَلَوْ غَسَلُوا فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ طَافِحٌ

كَأَسْنَانٍ مَشَطٍ كُلَّهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ

وَلَا تَأْتِبُ مِنْهُمْ وَهَلْ تَمَّ تَوْبَةٌ

فَقَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ مَلَكًا مُؤَبَّدًا

أُجَاهِدُهُمْ مَا دَمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ

وَلَسْتُ أَبَالِي إِنْ أَفْزَ بِجِهَادِهِمْ

لَهُمْ شَيْخٌ سَوْءٍ مِنْ بَنِي الْقِبْطِ أَصْلُهُ

نَجَّاسَتُهُمْ جَاءَتْ مَغَاطِظَةً كُبْرَى

لَمَا أَثَرَ الْبَحْرَ الْمُحِيطُ بِهِمْ طَهْرًا

فَلَا أَحَدٌ يُبْدِي عَلَيَّ أَحَدٍ فَخْرًا

وَهُمْ لَا يَرَوْنَ الْوِزْرَ فِي نَفْسِهِ وَزِرًا

نَوَاصِيهِمْ وَاللَّحْمَ وَالْعِظْمَ وَالشَّعْرَا

تَرَكْتُ لَهُمْ جَيْشِينَ نَظْمِي وَالنَّشْرَا

إِذَا فَاتَنِي فَتَحْتُ لِرُومِيَّةِ الْكُبْرَى

بِسِحْنَتِهِ الشَّوْهَاءِ نَسْبَتُهُ تُقْرَا

عَلَى قَلْبِهِ سَادَ الْهَوَىٰ فَهُوَ عَبْدُهُ
أَبُو مِرَّةٍ فِي مِصْرَ أَحْرَزَ إِمْرَةً
أَبُو جَهْلٍ هَذَا الْعَصْرَ قَدْ صَارَ مُفْتِيًّا
كَمُرُودٍ لَكِنَ لَا سَلَامَ لِنَارِهِ
بِهِ بَلَغَ الشَّيْطَانُ فِي الدِّينِ قَصْدُهُ
جَرِيءٌ عَلَى الْفِتْوَىٰ مَجْقٍ وَبَاطِلٍ
وَلَيْسَ بِعَلْمِ الْفَقْهِ يَلْحَقُ مُحَضَّرًا
وَمَعَ جَهْلِهِ فِي دِينِنَا وَعِلْمِهِ

وَقَدْ سَكَنَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِهِ وَكِرَا
فَصَيَّرَ عَيْشَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مِرًّا
بِمِصْرَ فَأَحْيَا الْجَاهِلِيَّةَ فِي مِصْرَا
وَفِي بَجْرِهِ فِرْعَوْنُ لَا يَحْسُنُ الْعَبْرَا
وَقَطَّبَ وَجْهَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلُ افْتِرَا
بِحُكْمِ الْهَوَىٰ وَالْجَهْلِ مَا شَاءَهُ أَجْرِي
وَإِنْ رَاحَ يَعْدُو خَلْفَهُ أَبَدًا حَضْرَا
يَرِي نَفْسَهُ أَعْلَىٰ أُمَّتِهِ قَدْرَا

فَنُونَ جُنُونَ الْجَاهِلِينَ كَثِيرَةٌ

رَوَى عَنْ جَمَالِ الدِّينِ أَقْبَحَ مَا رَوَى

رَوَى عَنْهُ مِنْ عِلْمِ الفلاسِفِ قِطْرَةٌ

وَرِاحَ بَدْعَوِي الإِجْتِهَادِ مُعْرِبِدًا

وَضَلَّلَ أَهْلَ العِلْمِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ

لِسَانٌ لَهُ كَالثَّوْرِ لَفَّ نَبَاتُهُ

فَلَمْ يُرْ ثَوْرٌ زَا حَمَ الأَسَدِ قَبْلَهُ

تَوَلَّعَ بِالدُّنْيَا وَصَيَّرَ دِينَهُ

وَأَقْبَحُهَا قَرْدٌ يَرَى نَفْسَهُ بَدْرًا

مِنَ العِلْمِ لَكِنْ زَادَ أضعافُهُ شَرًّا

فَصَارَ بِهَا مِنْ ضَعْفِهِ طَافِحًا سَكْرًا

يَقِيءُ ضَلالًا نَجَسَ البَرِّ وَالبَحْرِ

بِكُلِّ زَمَانٍ بِاتِّباعِهِمُ الغَيْرَا

وَلَكِنَّهُ بِالجَهْلِ قَدْ غَلَبَ الثَّوْرَا

وَلَا حَدَاةٌ مِنْ قَبْلِهِ زَا حَمَتْ نَسْرَا

إِلَيْهَا عَلَيَّ مَا فِيهِ مِنْ خَفَّةِ جِسْرَا

يَمِيناً إِذَا كَانَتْ يَمِيناً وَإِنْ تَكُنْ

فَمِنْ جِهَةٍ يُدْعَى الْإِمَامَ وَيَقْتَدِي

يَذْمُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدَمَا

لِكَيْمَا يُقَالُ الشَّيْخُ حَرُّ ضَمِيرُهُ

وَمَا زَالَ مَشْهُوداً عَلَى الدِّينِ شَرُّهُ

لَنْ نَفَعَ الْإِسْلَامَ مِنْ دُونِ قَصْدِهِ

خَبِيثٌ حَكِيٌّ أُمَّ الْخُبَائِثِ إِذْ حَوَتْ

مَضْرَاتَهُ مِثْلَ الْجِبَالِ وَإِنَّمَا

يَسَاراً سَعَى يَعدُو إِلَيْهَا مِنَ الْيُسْرَى

بِأَعْمَالِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى

يَرَى حَاجَةَ لِلْكُفْرِ يَسْتَحْسِنُ الْكُفْرَ

فَيَبْلُغُ عِنْدَ الْقَوْمِ مَرْتَبَةً كُبْرَى

وَإِنْ زَعَمَ الْعُمَيَّانُ أَنَّ بِهِ خَيْرًا

فَكَمْ هُوَ عَنِ الْقَصْدِ بِهِ الْحَقُّ الضَّرًّا

عَلَى كِبَرٍ فِي الْإِثْمِ مَنَفَعَةٌ صَغْرَى

مَنَافِعُهُ فِي الدِّينِ أَشْبَهَتْ الذَّرًّا

أَجَلٌ شَيَاطِينِ الضَّلَالِ بَعَصْرِهِ
تَكَامِلَ قُبْحِ الذَاتِ فِيهِ وَإِنْ يَكُنْ
تَدَلُّ عَلَى خَافِيهِ ظِلْمَةٌ وَجْهَهُ
أَتَى لِبِلَادِ الشَّامِ أَيَّامَ نَفِيهِ
بِهَا بَاضَ بَيْضًا كَانَ إبْلِيسَ حَاضِنًا
وَعَادَ إِلَى مِصْرٍ فَأَحْدَثَ مَذْهَبًا
وَأَيَّدَ أَعْدَاءَ الْبِلَادِ بِسَعِيهِ
يُحَسِّنُ بَيْنَ النَّاسِ قُبْحَ فِعَالِهِمْ

وَأَعْظَمُ أَهْلِ الزِّيغِ فِي مِصْرِهِ خُسْرَا
بِنِسْبَةِ قُبْحِ فِي عَقِيدَتِهِ نَزْرَا
وَأَسْرَارُ قَلْبِ الْمَرْءِ مِنْ وَجْهِهِ تُقْرَا
فَأَنْبَتَ فِيهَا مِنْ ضَلَالَتِهِ بَذْرَا
لَهُ فَسَعَتْ أَفْرَاحُهُ تَتَّبِعُ الْإِثْرَا
وَلَوْثَ مَنْ أَقْدَارُهُ ذَلِكَ الْقَطْرَا
وَأَوْهَمَ أَهْلَ الْجَهْلِ أَنَّ بِهِمْ خَيْرَا
وَمَهْمَا أَسَاؤُوا رَاحَ يَلْتَمِسُ الْعُذْرَا

بِمِقْدَارِ مَا خَانَ الْبِلَادَ وَمَا أَتَى
وَلَمْ يَقْتَنِعْ مِنْهُمْ بِدُنْيَا اسْتِفَادَهَا
وَأَحْدَثَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ نَظِيرَهُمْ
لَقَدْ قَادَهُمْ مِنْهُ إِلَى رَأْيٍ مَلْحَدٍ
وَنَالَ بِجَاهِ الْقَوْمِ فِي النَّاسِ رُتْبَةً
فَأَصْلَى رِجَالَ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ
فَمِنْ رَهْبَةٍ أَوْ رَغْبَةٍ كَمْ سَعَى لَهُ
وَأَلْقَى لَهُمْ دَرَسًا يَخَالِفُ حِكْمَهُ

لِأَعْدَائِهَا نُصْحًا عَلَا عِنْدَهُمْ قَدْرًا
وَلَكِنَّهُ قَدْ شَارَكَ الْقَوْمَ فِي الْآخِرَى
بُرْسَنْتَ صَارُوا مِثْلَهُمْ فِرْقَةً آخِرَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ كُفْرًا فَقَدْ قَارَبَ الْكُفْرَى
بِهَا حَازَ فِيمَنْ شَاءَهُ النِّفْعَ وَالضَّرَّ
بِنَارِ فِسَادٍ مِنْهُ قَدْ قَذَفَتْ جَمْرًا
طَغَامٌ مِنَ الْجَهَالِ أَكْسَبَهُمْ خُسْرًا
بِأَزْهَرِهَا الْمَعْمُورِ دِينَ أَبِي الزُّهْرَى

وَقَدْ ضَلَّ فِي الْقُرْآنِ مَعَ عَظْمِ نَوْرِهِ
فَتَفْسِيرُهُ مِنْ رَأْيِهِ لَيْسَ خَالِيًا
أَحْذَرُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ كُتُبِ دِينِهِ
وَسَاوَسُ أَوْحَتْهَا إِلَيْهِ أَبَالِسُ
عَقِيدَتُهُ فِي قَبْحِهَا مِثْلُ وَجْهِهِ
وَأَقْوَالُهُ مِثْلُ السَّرَابِ بَقِيْعَةٌ
مَحَاسِنُ الْفَاطِلَةِ قَدْ تَزَخَّرَتْ
بِهِ بَرَزَتْ حَسَنَاءُ فِي شَرِّ مَنَبِتٍ

كَمَا خَبَطَتْ عَشْوَاءُ فِي اللَّيْلَةِ الْقَمْرَا
فَأَمَّا يُرَى فِسْقًا وَإِمَا يُرَى كَفْرًا
وَبِالرَّدِّ وَالْإِعْرَاضِ تَفْسِيرُهُ أَحْرَى
بِهَا يَجِدُ الْمُرَاقُ إِنْ عُدَلُوا عُدْرَا
تُشَاهِدُ فِي مِرَاةٍ مَلَّتْنَا الْغُرَا
بِظَاهِرِهَا قَدْ تَخَدَعُ الْجَاهِلُ الْغُرَا
تَعْرِ امْرَأًا لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالشَّرَا
كَمَا نَبَتَتْ فِي الدَّمْنَةِ الْبَقْلَةُ الْخَضْرَا

يَرى لِذَوِي الإِحَادِ فَضْلاً وَأَيْنَمَا

يَرى لِقَتى تَمِيَّةً بِإِبْتِدَاعِهِ

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَّبِعْهُ بِزَهْدِهِ

وَيَمْدُحُ وَهَابِيَّةً لِمَسَائِلِ

وَيَفْعَلُ أَفْعَالاً إِذَا عُرِضَتْ عَلَيْهِ

يُعَاشِرُ نِسْوَانَ النَّصَارَى وَلَا يَرى

وَيَأْكُلُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا يَأْكُلُونَهُ

وَيُفْتِي بِجَلِّ الْمُسْكِرَاتِ جَمِيعِهَا

رَأى ذَا إِبْتِدَاعٍ رَاحَ يَمْنَحُهُ شُكْرًا

وَزَلَّاتِهِ فِي الدِّينِ مَنقِبَةً كَبْرَى

وَأَقْوَالِهِ الْحَسَنَاءَ وَخَيْرَاتِهِ الأُخْرَى

بِهَا قَدْ أَتَوْا نِكْرًا وَضَلُّوا بِهَا فِكْرًا

أُولَئِكَ عَدُوُّهَا بِمَذْهَبِهِمْ كَفْرًا

بِذَلِكَ مِنْ بَأْسٍ وَإِنْ كَشَفَ السِّتْرَا

وَيَشْرِبُهَا حَمْرَاءَ إِنْ شَاءَ أَوْ صَفْرَا

إِذَا هِيَ بِالأَسْمَاءِ خَالَفتِ الخَمْرَا

وَيَأْكُلُ مَخْنُوقًا وَيُقْتِي بَجْلِهِ

وَتَحْلِيلُهُ لِبَسِّ الْبِرَانِيْطِ وَالرِّبَا

وَكَمْ زَارَ بَارِيْزًا وَلُنْدْرَةَ وَلَمْ

وَإِنْ كَانَ يَوْمًا لِلرِّبَاءِ مُصَلِّيًّا

وَكَمْ مِنْ إِمَامٍ كَابِنِ حَنْبَلٍ مُلْحَقٍ

وَبِالْفَسْقِ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ

وَمَثَلُهُمَا النِّعْمَانُ قَالَ بِفَسْقِهِ

فَقَدْ عَاشَ إِمَّا وَاجِبَ الْحَبْسِ عَمْرُهُ

لَثَلَا يَقُولُوا إِنَّهُ ارْتَكَبَ الْوِزْرَا

بِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ أَحَقَّ الْكُفْرَا

يَزُرُّ مَكَّةَ يَوْمًا وَلَا طَيْبَةَ الْغُرَا

يُرَى فَاعِلًا يَوْمًا وَتَارِكَهَا شَهْرَا

بِتَارِكِ فَرَضٍ مِنْ فَرَائِضِهَا كُفْرَا

وَمِنْ أَجْلِ فَرَضٍ أَوْجَبَا قَتْلَهُ زَجْرَا

بِإِقْتِلِهِ لَكِنَّهُ يَجْبَسُ الدَّهْرَا

وَإِمَّا غَدَا بَيْنَ الْوَرَى دَمُهُ هَدْرَا

فَمَنْ قَالَ كَالْكَلْبِ الْعَقُورِ فَصَادِقٌ

وَقَدْ كُنْتُ فِي لَبْنَانَ يَوْمًا صَحْبَتُهُ

وَصَلَّيْتُ فَرَضَ الظَّهْرِ وَالْعَصْرَ بَعْدَهُ

وَكَانَ صَحِيحَ الْجِسْمِ لَا عَذْرَ عِنْدَهُ

وَمَعَ كُلِّ هَذَا فَهُوَ أَسَاذُ عَصْرِهِ

وَقَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ صَاحِبَتُ شَيْخَتُهُ

وَلَمْ أَرَهُ أَدَّى فَرِيضَةَ مَغْرَبِ

رَمَى اللَّهَ كَلًّا مِنْهُمَا بِلِسَانِهِ

سِوَى أَنَّهُ فِي الدِّينِ قَدْ فَعَلَ الْعَقْرَا

لِقَرَبِ غُرُوبِ الشَّمْسِ مِنْ ضَحْوَةِ كِبَرِي

لَدَيْهِ وَمَا صَلَّى هُوَ الظَّهْرَ وَالْعَصْرَا

بَلَى إِنْ ضَعَفَ الدِّينَ كَانَ لَهُ عُذْرَا

فَأُفٍّ لَهُ شَيْخًا وَأُفٍّ لَهُ عَصْرَا

لِقَرَبِ العِشَاءِ أَيَّامَ جَاوَرْتُ فِي مِصْرَا

فَقَاطَعْتُ شَيْخَ السُّوءِ مِنْ أَجْلِهَا الدَّهْرَا

بِدَاءٍ فَذَاقَا المَوْتَ فِي قِطْعِهِ مَرًّا

وَذَاكَ أَبُو الْآفَاتِ كَمَ ذَا هَجَا بِهِ
كَاسْتَاذِهِ فِي الدِّينِ حَازَ مَسَاوِيَاً
وَزَادَ عَلَيْهِ قُوَّةً وَضَلَالَةً
وَكَمَ مِنْ تَلَامِيذٍ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ
قَدِ اعْتَقَدُوا كُلُّ الْمَسَاوِيِ مُحَاسِنَاً
بِهِ نَالَهُمْ كَالسَّامِرِيَّةِ فِتْنَةً
حَكَى الْحَسَنُ ابْنَ الْأَسْطَوَانِيِّ وَهُوَ مِنْ
حَكَى أَنَّهُ مِنْ بَعْدَمَا مَاتَ عَبْدُهُ

وَلِيَاً وَكَمَ فِي الدِّينِ قَدَ نَطَقَ الْهَجْرَا
إِذَا مُزِجَتْ بِالْبَحْرِ أَفْسَدَتْ الْبَحْرَا
فَوَلَّدَ فِي الْإِلْحَادِ فِي عَشْرِهِ عَشْرَا
هُوَ الشَّيْخُ إِلَّا أَنَّهُ نَسَخَةُ أُخْرَى
لَهُ وَرَأُوا تِلْكَ الشُّرُورَ بِهِ خَيْرَا
وَلَكِنْ مَحَلَّ الْعَجَلِ قَدِ عَبَدُوا الثُّورَا
بَدْوَرِ الْهُدَى فِي الشَّامِ أَكْرَمَ بِهِ بَدْرَا
رَأَى عَيْنُهُ فِي النَّوْمِ مَطْمُوسَةً عَوْرَا

فَأَوْلَتْ أَنْ الشَّيْخَ دَجَالَ عَصْرَهُ
فَقَدْ مَاتَ لَكِنْ أُحْيِيَ الدَّجَلُ كِتَابَهُ
مَرَاتِبُهُمْ فِي إِرْثِهِ قَدْ تَفَاوَتَتْ
وَمَنْ حَيْثُ أَصَلَ الدَّجَلِ أَكْفَاءُ بَعْضُهُمْ
وَهُمْ كُلُّهُمْ وَالشَّيْخُ أَيْضاً وَشَيْخُهُ
وَلَوْلَا حَدِيثُ الْمُصْطَفَى لِأَسَامَةِ
لَمَا صَحَّتِ الدَّعْوَى بِإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ
وَكُنْتُ كَتَبْتُ الكَافَ وَالْفَاءَ بَعْدَهَا

وَمَا زَالَ دَجَالاً وَإِنْ سَكَنَ الْقَبْرَا
وَوَرَّثَ كَلَّاماً مِنْ تَلَامِيذِهِ قَدَرَا
فَذُو حِصَّةٍ صُغْرَى وَذُو حِصَّةٍ كَبْرَى
فَلَا وَاحِدٌ يُبْدِي عَلَيَّ وَاحِدٌ فَخْرَا
إِلَى الْأَعْوَرِ الدَّجَالِ نَسَبُهُمْ تُدْرَى
يَقُولُ بِهِ هَلَّا شَقَّقْتُ لَهُ الصَّدْرَا
لَدَيَّ وَمَا اسْتَبَعْدْتُ عَنْ بَعْضِهِمْ كَفْرَا
عَلَى جَبْهَاتِ الْقَوْمِ كَيْ يَعْرِفُوا وَالرَّأَا

كَمَا جَاءَ فِي الدِّجَالِ يَكْتُبُ لَفْظَهَا

فَقَدْ أَشْبَهُهُ فِي مَعَانٍ كَثِيرَةٍ

وَمَا الْفَرْقُ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ

مُقَدَّمَةٌ لِلْجَيْشِ عَنْهُ تَقَدَّمُوا

تَقَدَّمَ فِيهِمْ نَائِبًا عَنْهُ عَبْدُهُ

فَوَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لِمَنْ يَتَّبِعُونَهُ

وَأَمَّا رَشِيدُ ذُو الْمَنَارِ فَإِنَّهُ

أَتَانِي بِبَيْرُوتٍ بِشَرِيحِ شَبَابِهِ

فَيَقْرَأُ مَنْ يَقْرَأُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ

مِنَ الدِّجَالِ وَالْإِلْحَادِ وَالْبَدْعِ الْآخَرِ

عَمَاهُمْ وَدِجَالُ الْوَرَى عَيْنُهُ عَوْرَا

وَجَنْدُلُهُ مِنْ قَبْلِهِ مَهْدُوا الْأَمْرَا

فَأَعْوَى الَّذِي أَعْوَى وَأَعْرَى الَّذِي أَعْرَى

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فَلَهُ الْبُشْرَى

أَقْلَهُمْ عَقْلًا وَأَكْثَرَهُمْ شَرًّا

بِمَقْلَتِهِ السُّودَا وَوَجْنَتِهِ الْحَمْرَا

لَهُ لِحْيَةٌ مَقْصُوصَةٌ مِنْ جَذُورِهَا
وَكَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ عِنْدِي جَالِسًا
فَوَيْخُهُ مُسْتَبِحًا مَا أَتَى بِهِ
وَقَدْ غَابَ عَنِّي خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً
وَشَاهَدْتُ مِنْهُ الْوَجْهَ أَغْبَرِ مَظْلَمًا
وَذَلِكَ مَعَ مَا فِيهِ أَهْوَنَ أَمْرِهِ
وَأَفْعَالُهُ تُبْدِي قُبْحَ ضَلَالِهِ
وَأَطْوَارُهُ فِي حُكْمِهَا قَدْ تَنَاقَضَتْ

تُرْجِمُ عَنْهُ أَنْ فِي نَفْسِهِ أَمْرًا
نُصُوحِي جِزَاءَهُ اللَّهُ عَنِ نَصْحِهِ خَيْرًا
وَأَبْدَى لَهُ مِنْ سَخَطِهِ النَّظَرَ الشَّزْرَا
وَعَادَ وَلَمْ يَزِدَّ شَعُورًا وَلَا شَعْرًا
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ ضَلَالَتِهِ سِتْرًا
إِذَا مَا بِهِ قَيْسَتْ فِظَائِعُهُ الْأُخْرَى
وَتَكشِفُ عَنْ مَكُونِ إِحَادِهِ السِّتْرَا
بِحُكْمِ هَوَاهُ كُلِّ وَقْتٍ تَرَى طُورًا

فَكَمْ ذَا أَرَادَ النَّصْبَ فِي دَرَسِ جَامِعٍ

وَكَمْ قَامَ يَتْلُو فِي الْكَنِيسَةِ خُطْبَةً

وَكَمْ قَامَ فِي وَسْطِ الْجَامِعِ خَاطِبًا

لَهُ كَجَمَالِ الدِّينِ نِسْبَةً كَاذِبٍ

وَقَدْ سَمِعْتَ أَذْنَائِي قَوْلَ ابْنِ عَمِّهِ

وَكَيْفَ يَكُونُ ابْنُ النَّبِيِّ عَدُوَّهُ

وَهَذَا مَنَارُ السُّوءِ مِرَاةٌ مَجْدِهِ

أَتَى مِصْرَ مَطْرُودًا وَقَدْ خَانَ دِينَهُ

فَأَوْلَاهُ أَرْبَابُ التَّمْيِ الْخَفِضَ وَالْجَرَ

بِهَا نَابَ عَنِ قَسٍّ وَعَانَقَهُ جَهْرًا

وَقَدْ مَنَحَ الْإِيمَانَ بِالْخَلْطِ وَالْكَفْرًا

بِهَا زَادَ فِي طُنْبُورِهِ نِعْمَةً أُخْرَى

مُجِيبًا بِأَنَّ لَنَا نِسْبَةً لَهُمْ تُدْرَى

فَاعْظِمْ بِهِ زُورًا وَأَعْظِمْ بِهِ وَزْرًا

وَقَدْ أَظْهَرْتَ فِي مَوْضِعِ الشَّرَفِ الشَّرَا

وَدَوْلَتُهُ يَا لَهْفَ قَلْبِي عَلَى مِصْرَا

أَتَاهَا وَقَدْ مَصَّ الثَّرَى فِي بِلَادِهِ
فَأَوَاهُ فِي أَكْنَافِهِ الشَّيْخَ عَبْدَهُ
وَعَلَّمَهُ مِنْ عِلْمِهِ شَرَّ صِنْعَةٍ
وَهَذَا مَنَارُ السُّوءِ أُسِّسَهُ لَهُ
فَدَامَ عَلَى مَا أُسِّسَ الشَّيْخَ ثَابِتًا
وَلَمْ تَخْلُ مِنْهُ نَسْخَةٌ مِنْ ضَلَالَةٍ
وَوَاللَّهِ إِنِّي فِي الْمَنَامِ رَأَيْتُهُ
رَأَيْتُ سَوَادَ اللَّوْنِ قَدْ عَمَّ وَجْهَهُ

مِنَ الْجُوعِ لَا بَرًّا حَوَاهُ وَلَا بُرًّا
وَأَشْبَعُهُ خَبْرًا وَأَشْبَعَهُ خَسْرًا
بِهَا رِبْحَ الدُّنْيَا وَقَدْ خَسِرَ الْآخِرَى
وَلَقِّنَهُ التَّضْلِيلَ سَطْرًا تَلَا سَطْرًا
وَكَمَ فَوْقَهُ قَدْ شَادَ مِنْ بَدَعٍ قَصْرًا
عَلَى لَعْنِهِ تُغْرِي الْوَرَى كَلَّمَا تُقْرَا
بَدَا حَبَشِيَّ اللَّوْنِ أَسْوَدٌ مُغْبِرًا
وَعَهْدِي بِهِ مِنْ قَبْلِ أَيْضٍ مُحْمَرًا

وَأَدْرَكْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنْ مَنَارَهُ
فَذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ
غَدَا نَاشِرًا فِيهِ ضَلَالَاتٌ شَيْخِهِ
فَعَذِّي بِهَاتِيكَ النِّجَاسَاتِ مَعَشْرًا
وَلَفَّقَهُ مِنْ كُلِّ بَدْعَةٍ مَارِقٍ
وَكَمْ ضَلَّ رَأْيًا مِنْ سَقَامَةٍ فَهَمِهِ
وَلَوْ سَأَلَ الْأَشْيَاحَ أَدْرَكَ سِرَّهُ
وَمِنْهُ حَدِيثُ الشَّمْسِ بَعْدَ غُرُوبِهَا

عَلَيْهِ غَدَا نَارًا وَنَالَ بِهِ الْخُسْرَا
فَأَصْبَحَ فَحْمًا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ جَمْرَا
كَمَا نَشَرَ الزَّرَاعُ فِي أَرْضِهِ الْبَعْرَا
بِدُونَ عَقُولٍ خَمَّنُوا بَعْرَهَا تَمْرَا
مَنْ الدِّينَ لَا يَدْرِي الصَّوَابَ وَلَا يُدْرِي
بِأَمْرٍ صَحِيحٍ مِنْ شَرِيعَتِنَا الْغَرَا
وَلَكِنَّهُ مَعَ جَهْلِهِ قَدْ حَوَى كِبْرَا
فَتَسَجَدُ تَحْتَ الْعَرْشِ تَسْتَأْذِنُ السَّيْرَا

بِأَخْرِ شَهْرِ الصَّوْمِ مِنْ عَامٍ سَبْعَةٍ
رَوَاهُ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
وَمَا شَكَّ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا
وَصَرَّحَ فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ
فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ التَّكْذِيبِ يَحْتَاجُ كُفْرُهُ
وَفِي جِزَاءِ شَعْبَانَ مِنَ الْعَامِ نَفْسِهِ
أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا بِكَنِيسَةٍ
وَقَلَّدَهُ مَنْ لَمْ يُبَالُوا بِدِينِهِمْ

وَعَشْرِينَ قَدْ أَبَدَى الْمَنَارُ لَهُ ذِكْرًا
فَصِحَّتْهُ كَالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ ظَهْرًا
رَأَى خَيْرَ الْمُخْتَارِ مَا طَابَقَ الْخُبْرَا
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَعْرِفِ الْأُمْرَا
لِإِبْطَاتِهِ بَيْنَ الْوَرَى حِجَّةً أُخْرَى
بِبَيْرُوتِ لِلْإِسْلَامِ قَدْ جَوَّزَ الْكُفْرَا
عِبَادَةَ أَهْلِهَا بِمَدْرَسَةِ كِبْرَى
لَكَيْمًا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّ لَهُمْ عَذْرَا

وَلَا عَذْرَ لِلْأَبْنَاءِ عِنْدَ بُلُوغِهِمْ
وَمَنْ قَلَّدَ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِ دِينِهِ
فَتَاوِيهِ فِي الْأَحْكَامِ طَوْعًا اِخْتِيَارِهِ
فِيحْظَرُ شَيْئًا كَانَ بِالْأَمْسِ وَاجِبًا
فَتَحْرِيْمُهُ تَحْلِيلُهُ بِاشْتِهَائِهِ
وَمَذْهَبُهُ لَا مَذْهَبٌ غَيْرَ أَنَّهُ
يُجَادِلُ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْجَهْلِ مَمْلِيًّا
وَيَبْقَى عَلَى مَا قَدْ جَرَى مِنْ كَلَامِهِ

وَأَبَائِهِمْ مَعَ شَيْخِهِمْ كَفَرُوا طَرًّا
يُنَالُ بِهِ مِنْ دِينِهِ الْخِزْيِ وَالْخُسْرَا
تَصْرَفَ كَالْمَلَاكِ فِي دِينِهِ حَرًّا
وَيُوجِبُ شَيْئًا كَانَ فِي أَمْسِهِ حَظْرًا
بَأَهْوَائِهِ أَحْكَامُهُ دَائِمًا تَطْرَا
يُجَادِلُ عَنِ أَهْوَائِهِ الشَّهْرَ وَالذَّهْرَا
عَلَى فِكْرِهِ إِبْلِيسُهُ كُلِّ مَا أُجْرَى
مُصْرًّا وَلَوْ أُجْرَى بِأَفَاطِئِهِ كُفْرَا

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الزِّيغِ يَتَبُّ مُسْلِمٌ

فِيَا أُمَّةَ الْهَادِي لَقَدْ طَالَ صَبْرُكُمْ

وَيَا أَهْلَ مِصْرٍ كَيْفَ صَارَ عِدْوَةٌ

وَعَهْدِي بِكُمْ لِلدِّينِ أُسْدًا فَمَا الَّذِي

أَلَّا غَيْرَةٌ كَالشَّامِ أَشْكُرُكُمْ بِهَا

أَتَاهَا وَقَدْ عَمَّ الْوَرَى نَارُ فِتْنَةٍ

وَأَعْظَمَ بِهَا نَارًا بِهَا قَدْ تَقَطَّعَتْ

طَرَابُلُسُ مِنْ غَيْظِهَا بَسَمَتْ لَهُ

إِذَا خَاضَ مِنْ أَوْصَافِ تَضْلِيلِهِ بَحْرًا

عَلَى فَاجِرِ بَالِدَيْنِ وَالْمُصْطَفَى أَرْزَى

يُكْذِبُهُ مَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ جَهْرًا

لَكُمْ قَدْ جَرَى حَتَّى تَهَيَّيْتُمْ الْهَرَا

فَلَسْتُ أُوَدِّي مَا حَيَّتْ لَهَا شُكْرًا

عَلَى مَلَّةِ الْإِسْلَامِ قَدْ زَفَرَتْ زَفْرًا

سَلَسِلُهُ مِنْ بَعْدِ تَقْيِيدِهِ دَهْرًا

كَمَا أَظْهَرَ الضَّرْعَامُ مِنْ غَيْظِهِ الْبَشْرًا

وَقَدِ بَرَقَتْ كَالسَيْفِ أَرْجَاؤُهَا لَهُ

فَجَاءَتْهُ بَعْدَ الْبَرْقِ صَاعِقَةٌ كَبْرَى

مُقَدِّمَ قَوْمٍ كَادَ يُسْكِنُهُ الْقَبْرَا

وَسَاقَ لَهُ الْفَارُوقُ مِنْ نَسْلِ بِنْتِهِ

قَنَاةٌ لَهُ شَقَّتْ وَأَجْرَتْ بِهِ نَهْرَا

عَلَى رَأْسِهِ انْصَبَتْ عَصَاهُ كَأَنَّهَا

فَفَرُّوا جَمِيعًا عَنْهُ إِذِ سَمِعُوا الزُّرَا

عَلَيْهِ سَطَا كَاللَيْثِ شَتَّتْ جَمْعُهُ

أَرَادَ بِهَا ذَاكَ الْهَزْبِ رُلُهُ زَجْرَا

وَأَدْمَاهُ مِنْهُ فَتَكَّةٌ عُمْرِيَّةٌ

كَمَا أَرْغَمَ اللَّيْثُ الْغَضْنَفَرُ سَنُورَا

أَرَادَ بِهَا إِرْغَامَهُ لَا حَمَامَهُ

وَكَانَ بِخَمْرِ الْعُجْبِ مُمْتَلِكًا سَكْرَا

أَرَادَ بِهَا إِيقَازَهُ مِنْ سَبَاتِهِ

فَكَانَتْ لَهُ مِنْ عُظْمِ شِقْوَتِهِ إِغْرَا

أَرَادَ بِهَا تَحْذِيرَهُ مِنْ ضَلَالِهِ

وَجَاءَ دِمَشْقَ الشَّامِ مِنْ بَعْدِ يَبْتَغِي

أَتَى الْمَسْجِدَ الْمَعْمُورَ يَنْشُرُ فَرثَهُ

فَلَمَّا عَلا فِي السَّامِعِينَ جَوَّارَهُ

وَكَانَ بِهَا مِنْ تُونِسَ الْغَرْبِ صَالِحٌ

مَحَا ظِلْمَاتِ الْغَيِّ نُورَ بَيَانِهِ

رَمَاهُ بِسَهْمٍ مِنْ كِنَانَةِ عِلْمِهِ

وَأَوْلَاهُ مِنْ آلِ الْخَطِيبِ خَطِيبَهُمْ

لَهُ سَلٌّ مِنْ أَفْكَارِهِ خَيْرَ صَارِمٍ

دِرَاسَةَ شَوْكٍ قَدْ تَوَهَّمَهُ بُرَا

وَقَدْ طَبَّقَ الْأَرْجَاءَ مِنْ أَرْضِهِ جَارَا

وَشَاهِدَ أُسْدَ الدِّينِ هَاجَتَ بِهِ فِرَا

شَرِيفٌ فَلَمَّا فَاهَ أَلْقَمَهُ فِهْرَا

وَأَخْمَدَ مِنْ نِيرَانِ إِحْدَاهِ الْجُمْرَا

فَخَارَ وَمِنْ أَعْلَى مَنْصَتِهِ خِرَا

فَتَى الْعِلْمِ عَبْدُ الْقَادِرِ الصَّدْمَةَ الْأُخْرَى

وَقَبْلَ ظُهُورِ الْفَتْكِ وَلَى لَهُ الظُّهْرَا

كَذَا فَلَتَكُنْ سَادَاتُنَا آلَ هَاشِمٍ

أَوْلَاكَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّ وَإِنَّهُمْ

بِهِمْ قَدْ تَذَكَّرْنَا عَلَيَا وَحَمْزَةً

وَلَمْ يَحْتَجِ الشَّيْخَانِ فِي الدَّرْسِ نَاصِرًا

وَمِنْ بَعْدِهَا كَمْ شَهَبٍ حَقٌّ تَسَاقَطَتْ

جَزَى اللَّهُ أَهْلَ الشَّامِ خَيْرَ جَزَائِهِ

وَجَاءَ إِلَيَّ حَمَصٌ فُخَابٌ وَأَرْسَلْتُ

فَعَادَ إِلَيَّ مِثْوَاهُ فِي قَلْمُونِهِ

كَذَا فَلَتَكُنْ أَبْنَاءُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَا

لَأَوْلَى الْوَرَى أَنْ يَنْصُرُوا دِينَهُ نَصْرًا

بِغَزْوَةِ بَدْرٍ لَا عَدِمْنَا بِهِمْ بَدْرًا

عَلَى كَثْرَةِ الْأَنْصَارِ لِلسَّنَةِ الْغَرَا

عَلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانِ أَلَقَّتْ بِهِ الْبَحْرَا

وَتَابَ عَلَيَّ مَنْ تَابَعُوا ذَلِكَ الْعَيْرَا

إِلَيْهِ حِمَاةٌ إِنْ أَتَى أَرْضَهَا النَّذْرَا

وَمِنْ خَوْفِهِ كَالضَّبِّ قَدْ لَزِمَ الْجُحْرَا

فَكَانَتْ لَهُ فِي عَمْرِهِ شَرَّ رَحْلَةٍ
وَعَادَ إِلَى مِصْرٍ مِنَ الشَّامِ هَارِبًا
وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكَانَ عَقَالَهُ
وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ ضَلَالَةٍ
وَيَنْشُرُهَا بَيْنَ الْوَرَى مُتَبَجِّحًا
وَقَدْ كَانَ فِي شَيْخِيهِ أَعْظَمُ زَاجِرٍ
وَمِنْ نَحْوِ عَامٍ جَاءَنِي فَنصَحْتُهُ
وَذَاكِرْتُهُ فِي شَيْخِهِ وَهُوَ عَبْدُهُ

بِهَا بَيْنَ تِجَارِ الْهُدَى رِبْحَ الْخُسْرَا
يُنْفِضُ عَنْ أَعْطَافِهِ الْمَوْتَ وَالذَّعْرَا
وَلَا سِيْمَا مِنْ بَعْدِ أَنْ شَاهَدَ الْعُقْرَا
وَمَهْمَا تَكُنُّ عَارًا يَرَاهَا لَهُ فِخْرَا
كَمَا شَمَّ مِنْ أَرْجَاسِهِ الْجَعْلُ الْعِطْرَا
لَدَى الْمَوْتِ لَوْ شَاءَ الْإِلَهُ لَهُ زَجْرَا
كَمَا تَنْصَحُ الثَّعْبَانَ أَوْ تَنْصَحُ الْفَأْرَا
تَمَلَّكُهُ الشَّيْطَانُ عَنْ قَوْمِهِ قَسْرَا

فَقُلْتُ لَهُ لَوْ كَابِنَ سِينَا زَعَمْتُمْ
لَقُلْنَا لَكُمْ حَقًّا وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا
وَلَكِنَّا مَعَكُمْ مَعَ تَرْكِهِ الْحَجِّ مَرَّةً
وَمَعَ تَرْكِهِ فِرَاضِ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَكُنْ
وَمَعَ كَوْنِهِ شَيْخَ الْمَسُونِ مَجَاهِرًا
وَمَعَ غَيْرِ هَذَا مِنْ ضَلَالَاتِهِ الَّتِي
تَقُولُونَ أُسْتَاذُ إِمَامٍ لَدِينِنَا
وَنَحْنُ نَرَاهُ عِنْدَنَا شَرًّا فَاسِقًا

وَعَالَمِ فَارَابٍ وَأَرْفَعَهُمْ قَدْرًا
وَلَمْ نَرَمِنْ هَذَا عَلَى دِينِنَا ضَرًّا
وَحَجَّ لِبَارِيْزٍ وَلِنَدْرَةِ عَشْرًا
يَسْرُبُ بَذَا بَلْ كَانَ يَتْرُكُهَا جَهْرًا
بِذَلِكَ لَا يُخْفِي أَخَوْتَهُمْ سَرًّا
بِهَا سَارَ مِثْلَ السَّهْمِ لِلجِهَةِ الْآخَرِي
فَمَا أَكْذَبَ الدَّعْوَى وَمَا أَقْبَحَ الْأَمْرَا
فَيَقْتُلُ فِسْقًا بِالشَّرِيعَةِ أَوْ كَفَرًا

رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ فِيْنَا وَفِيكُمْ

تَعَالَوْا نُبَاهِلْكُمْ فَتَلْعَنَ مَنْ غَدَا

فِيَا رَبَّنَا الْعِنَ شَرَّتْنَا وَأَضْرَبْنَا

وَحُصَّ رَشِيدًا ذَا الْمَنَارِ وَشَيْخُهُ

ثَلَاثَ أَثَافٍ تَحْتَهَا نَارُ فِتْنَةٍ

وَقَدْ دَخَلُوا حِزْبَ الْمَسُونِ بِهَمَّةٍ

وَمَذْهَبُهُمْ حُكْمُ الدِّيَانَاتِ وَاحِدٌ

فَلَوْ تَمَّ دِينٌ لَمْ يَجُوزْ دُخُولُهُمْ

وَحُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّرْعَةِ الْغَرَا

بِنَا وَبِكُمْ أَوْلَىٰ بِلَعْنَتِهِ أَحْرَىٰ

بِحِكْمِهِ فِي الدِّينِ مَعَ جَهْلِهِ الْفِكْرَا

وَشَيْخَهُمَا إِنْ شَتَّ بِالْحِصَصِ الْكَبْرَىٰ

وَمِنْ فَوْقَهَا الْإِحَادُ صَارَ لَهَا قَدْرَا

بِهَا حَلَّ كُلِّ مَنْ مَحَافَلَهُ الصَّدْرَا

تَسَاوَىٰ بِهِ الْإِسْلَامُ وَالْمَلَلُ الْآخْرَىٰ

وَلَكِنَّهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ فَرَا

مَضَى اثْنَانِ لِلْآخِرَى بِأَسْوَأِ عِبْرَةٍ
وَنَالْتَهُمْ مَا زَالَ مَعَ شَرِّ عَصَبَةٍ
فَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ أَقْبَحَ مَيِّتَةٍ
وَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ عَاشَ نَحْوَ جَهَنَّمَ
فِيَا رَبِّ أَصْلِحْهُمْ وَإِنْ لَمْ تَرُدْ لَهُمْ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ مُسْلِمٌ فِي حِسَابِهِ
أَوْلَاكَ وَهَابِيَةٌ ضَلَّ سَعِيهِمْ
ضِعَافُ النَّهْيِ أَعْرَابُ نَجْدٍ جَدُودِهِمْ

وَمُقَلَّةِ إِبْلِيسَ لِمَوْتِهِمَا عِبْرَى
عَلَى مَلَّةِ الْإِسْلَامِ آفَاتُهُمْ تَتْرَى
فَلَا رَحِمَ الرَّحْمَنُ سَحْنَتَهُ الْغَبْرَا
يَحْتُ عَلَى آثَارِ أَشْيَاخِهِ السَّيْرَا
صَلَاحًا فَلَا تَبْجِحُ إِلَهِي لَهُمْ أَمْرَا
غَدَا قَلْبُهُ مِنْ حَبِّ خَيْرِ الْوَرَى صَفْرَا
فَظَنُّوا الرَّدَى خَيْرًا وَظَنُّوا الْهُدَى شَرًّا
وَقَدْ أَوْرَثُوهُمْ عَنْهُمْ الزُّورَ وَالْوَزْرَا

مُسَيْلَمَةُ الْجَدِّ الْكَبِيرِ وَعَرَسُهُ

إِلَى اللَّهِ بِالْمُخْتَارِ لَمْ يَتَوَسَّلُوا

فَقَدْ وَرِثُوا الْكِذَّابَ إِذْ كَانَ يَدْعِي

أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ لِلشَّرْقِ ذَمَّهُ

بِهِ يَطْلَعُ الشَّيْطَانُ يَنْطَحُ قَرْنَهُ

فَكَمْ طَعَنُوا بِالْأَشْعَرِيِّ إِمَامِنَا

بِتَحْقِيرِ أَحْبَابِ الْإِلَهِ تَقَرَّبُوا

وَيَعْتَدُونَ الْأَنْبِيَاءَ كَغَيْرِهِمْ

سَجَاحُ لِكُلِّ مِنْهُمْ الْجَدَّةُ الْكَبِيرَى

لِأَنَّ لِكُلِّ عِنْدَ خَالِقِهِ قَدْرًا

بِأَنَّ لَهُ شَطْرًا وَلِلْمُصْطَفَى شَطْرًا

وَهُمْ أَهْلُهُ لَا غُرُوبَ أَنْ أُطْلَعَ الشَّرًّا

رُؤُوسَ الْهُدَى وَاللَّهُ يَكْسِرُهُ كَسْرًا

وَبِالْمَا تُرِيدِي الْجَبْرَ أَكْرَمَ بِهِ حَبْرًا

إِلَيْهِ فَنَالُوا الْبُعْدَ إِذْ رَبِحُوا الْخُسْرَا

سَوَاءً عَقِيبَ الْمَوْتِ لَا خَيْرَ لَا شَرًّا

وَمَا وَجَدُوا لِلْمُسْتَعِيثِ بِهِمْ عَذْرًا

وَجَابُوا إِلَىٰ أَوْطَانِهِ الْبَرِّ وَالْبَحْرَا

لِزُورَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي طَيِّبَةِ الْغُرَا

إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَقِيدَتُهُ بُتْرَا

عَلَىٰ جِهَةِ اللَّعْلُو خَالِقِنَا قَصْرَا

فَمَا جِهَةٌ بِاللَّهِ مِنْ جِهَةٍ أُحْرَىٰ

بِنِسْبَةِ وَسْعِ اللَّهِ كَالذَّرَّةِ الصَّغْرَىٰ

عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ حُجْمٍ بِهِمْ حَكَمُوا الْفِكْرَا

وَقَدْ عَذَرُوا مَنْ يَسْتَعِيثُ بِكَافِرٍ

وَكَمْ رَحَلُوا لِلشَّرْكِ فِي دَارِ رَجْسِهِ

وَمَا جَوَّزُوا لِلْمُسْلِمِينَ رَحِيلَهُمْ

رَمَوْا بِضَلَالِ الشَّرْكِ كُلَّ مَوْحِدٍ

وَهُمْ بِاعْتِقَادِ الشَّرْكِ أَوْلَىٰ لِقَصْرِهِمْ

هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْكُلِّ جَلَّ جَلَالُهُ

تَأْمَلْ تَجِدْ هَذِي الْعَوَالِمَ كُلَّهَا

فَحَيْنُذِ أَيْنَ الْجِهَاتِ الَّتِي بِهَا

وَإِنَّ اخْتِلافاً لِلجِهاتِ مُحَقَّقٌ
وَكُلُّ عُلُوٍّ فَهُوَ سَفَلٌ وَعَكْسُهُ
فَمَنْ قالَ عُلُوًّا كُلَّها فَهُوَ صَادِقٌ
وَمَنْ قالَ سَفَلًا كُلَّها فَهُوَ صَادِقٌ
فَمَنْ يا تُرى بِالشَرِكِ أَوْلَى اِعْتقادُهُم
حَنابِلَةٌ لَكِنَّ مَذهَبَ أَحْمَدٍ
وَقد عَمَّ في هَذا الزمانِ فَسادُهُم
وَلم يَنفردِ شِذازُ مَذهَبِ أَحْمَدٍ

فَكَمَ ذا مِنَ الأَقطارِ قَطَرٌ عَلا قَطِرا
وَقُلُّ نَحوِ هَذا في الِيمينِ وفي الِيسرى
وَذَلكَ قَد يَقبُضِي بِأَهلِهِ أُخرى
فَليسَ لَهُم رَبٌّ عَلى هَذه يُدرى
أُولَئِكَ أَوْ أَصحابُ سَننِنا الغَرا
إِمامَ الهُدَى مِنَ كَلى ما أَحدَثوا يَبرا
فَما تَرَكوها شاماً وما تَرَكوها مَصرَا
فَقَد ضَلَّ قَومٌ مِنَ مَذاهِبِنا الأُخرى

كشكري الأوسي تابعا إثر جدّه
إلى أن رمى مجنونهم برجيعه
وما وصلت أرجاسه غير قومه
ومهما أبانوا عذرهم بجنونه
فكان عليهم قيده بسلاسل
فمن أطلق الكلب العقور فإنه
أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيا
عدو رسول الله أرضى عُداتهُ

وأعمامه لكّهم أثروا السترا
على الناس في تأليفه ذلك السفرا
به وبهم أرجاسه حُصرت حصرا
نُصدّقهم فيه ولا تقبل العذرا
وأن يجروه عن فظائعه حجرا
هو المخطئ الجاني الذي فعل العقرا
إلى لعنه بين الوري كل من يقرا
ومني ومن أحبابه أوغر الصدرا

إِلَهِي وَقَدْ أَكْثَرْتُ فِي مَدْحِهِ الشُّعْرَا
لَلْوَثَةِ تَبَالُّهُ وَلَهُ سِفِرَا
بِشَعْرِ إِذَا حَقَّقْتَهُ تَلْقَاهُ بَعْرَا
وَلَا مَنشَدًا بَيْتًا وَلَا مَنشَدًا شَطْرَا
وَتَوَعَّتْ فِي أَمْدَاحِهِ النِّظْمَ وَالنُّشْرَا
أَجَلَ كِتَابٍ لَمْ يَدْعِ لِّلسَّوِي عُذْرَا
بَدْوَرَ عُلُومٍ كُلِّ سَطْرٍ حَوَى بَدْرَا
وَكَانَتْ عَلَى أَعْدَاءِ خَيْرِ الْوَرَى جَمْرَا

وَمِنْ حَمَقِهِ أَوْ كَفَرِهِ قَالَ إِنَّهُ
وَلَوْ حَلَّ مَدْحِي لِلنَّبِيِّ بِسَفَرِهِ
وَمَعَ شَحْنِهِ مِنْ نِظْمٍ كُلِّ مَجَازِفٍ
فَمِنْ مَدْحِ خَيْرِ الْخَلْقِ مَا رَاحَ مُنْشَأً
بِإِقْرَارِهِ كَمْ صَغْتُ فِيهِ قَصِيدَةً
وَأَلْفَتْ فِي فَضْلِ اسْتِعَاثَتِنَا بِهِ
شَوَاهِدٌ حَقٌّ أَطْلَعَتْ فِي سَطُورِهَا
فَكَانَتْ لِأَرْوَاحِ الْمُحِبِّينَ جَنَّةً

وَلَا مَتَ لِمَنَعِ الْإِسْتِغَاثَةَ جَدَّهُ
فَلَوْ خَصَّنِي بِالشِّتْمِ مَعَ عَظْمِ جَرْمِهِ
فَدَمَّ هِدَاةَ الدِّينِ مِنْ كُلِّ مَذْهَبٍ
غَدَا لَفَتَى تَيْمِيَّةَ أَيِّ نَاصِرٍ
وَهَلَّا عَفَا عَنَّا لِذَنْبٍ بِزَعْمِهِ
فَلَوْ كَانَ مِنْ نَسْلِ الْجَوْسِ عَذْرَتُهُ
وَلَكِنْ نَرَاهُ يَدَّعِي خَيْرَ نَسَبَةٍ
فَمَنْ ذَا رَأْيٍ فِي النَّاسِ شَخْصًا مَوَالِيًا

وَمِنْ عَمِّهِ نَعْمَانُ أَنْكَرْتَ النُّكْرَا
لَمَا لَمْتَهُ لَكِنَّهُ عَمَّمِ الشَّرَا
وَأَعْطَى لِكُلِّ مَنْ سَفَاهْتَهُ قَدْرَا
فَهَلَّا اسْتَحَقَّ الْمُصْطَفَى عِنْدَهُ النُّصْرَا
لِخِدْمَتِنَا رُوحَ الْوَجُودِ أَبَا الزُّهْرَا
وَقَلْتُ امْرُؤٌ يَبْغِي لِأَجْدَادِهِ ثَارَا
وَأُمُّ الْفَتَى مِنْهُ بِنَسَبَتِهِ أَدْرَى
لِقَوْمِ يَرُونَ الْحَبَّ فِي جَدِّهِ كُفْرَا

وَمَنْ ذَا رَأَى فِي النَّاسِ شَخْصاً مُعَادِياً
إِذْنِ نَحْنُ فِي شَكٍّ مِّنَ النَّسَبِ الَّذِي
وَبَعْدُ فَذِيكَ الْكِتَابُ يَدُلُّنَا
كِتَابٌ عَلَيْهِ اللَّعْنُ مِنْ كُلِّ سَامِعٍ
وَكَثْرَ فِيهِ التَّقْلَمِ مِنْ دُونَ حَاجَةٍ
وَبِالْحَرْفِ وَالْقِرطَاسِ عَظْمِ حِجْمَةٍ
وَكُلِّ جَوَابٍ فِيهِ غَيْرِ مُطَابِقٍ
وَلَكِنَّهُ عَشْوَاءُ تَخْبِطُ خَبْطَهَا

فَتَى بِمَعَالِي جَدِّهِ أَنْفَقَ الْعَمْرَا
يَقُولُ وَفِيهِ الشُّكُّ نَحْصَرُهُ حَصْرَا
عَلَى جَهْلِهِ طَوْرًا عَلَى غَيْبِهِ طَوْرَا
وَصَاحِبِهِ أَيْضًا غَدَا مَاطِرًا مَطْرَا
لِيَثْبَتَ فِي دَعْوَاهُ بِالْكِبَرِ الْكِبْرَا
لِيَحْمَلَ لَعْنَاتٍ أَتَتْ فَوْقَهُ تَتْرَى
لِمَعْنِي كَلَامِي عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُ الْأَمْرَا
بَلِيلٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ قَدْ فَقَدَ الْبَدْرَا

وَأَعْقَلُ مِنْهُ الْكَلْبُ يَسْتُرُ رِجْسَهُ

كِتَابِي لِخَيْرِ الْخَلْقِ قَدْ جَاءَ نَاصِرًا

فَذَلِكَ مِنْ أَعْلَى وَأَعْلَى مَنَاقِبِي

وَذَلِكَ فَخْرِي فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا

وَقَرَّظَ قَوْلِي عِنْدَمَا تَمَّ طَبْعُهُ

وَقَرَّظَ سَفَرَ السُّوءِ بِالزُّورِ أَهْلَهُ

يَذُمُّ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ وَيَنْتَقِي

فَسَلُّ الرِّفَاعِي الْقَطْبَ يَخْتَارُ ذَمَّهُ

وَهَذَا رَأْيِي فِي نَشْرِ أَرْجَاسِهِ فَخْرًا

وَهَذَا لِأَعْدَاءِ النَّبِيِّ أَتَى نَصْرًا

وَهَذَا لَهُ أَقْوَى مَثَالِهِ الْكُبْرَى

وَهَذَا لَهُ خِزْيٌ بِدُنْيَاهُ وَالْآخِرَى

مَشَايِخُ إِسْلَامِ الشَّرِيعَةِ فِي مِصْرًا

وَمَنْ كَانَ عَنْ سَبْلِ الشَّرِيعَةِ مَزُورًا

لَأَشْرَارِهِمْ أَمْثَالُهُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرًا

وَشَيْخُ مَنَارِ السُّوءِ يَمْنَحُهُ شُكْرًا

خَبَائِثُ أَرْوَاحٍ تَحْنُ لِبَعْضِهَا

هُمُ الْكُلُّ أَعْدَاءُ النَّبِيِّ فَبَعْضُهُمْ

وَحَصَّوْا مُحِبِّيهِ بِنِسْبَةِ حَبِيْبِهِمْ

وَقَدْ جَعَلُوا لِي حَصَّةً مِنْ كِبَارِهَا

فِيَا رَبِّ زِدْنِي فِيهِ حَبًّا وَزِدْهُ بِي

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَنَا وَاجِدٌ

وَكَيْفَ وَهُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ فَخَارُهَا

وَأَبْطَالُهُمْ لَوْ حَارَبُوا أَسَدَ السَّمَاءِ

فَسُحْقًا لَهُمْ سُحْقًا وَخَسْرًا لَهُمْ خَسْرًا

عِدَاوَتُهُ كِبْرِي وَبَعْضُهُمْ صَغْرِي

فَاعْطُوا لِكُلِّ مَنْ عِدَاوَتُهُمْ قَدْرًا

لَمَّا عَلِمُوا مِنْ حَبِّهِ حَصَّتِي كِبْرِي

وَفِي طَيْبَةِ اخْتِمِ لِي عَلَى دِينِهِ الْعُمْرَا

لَمَنْ خَذَلَ الْإِسْلَامَ مِنْ أَهْلِهِ عُدْرَا

وَأَفْضَلُ أَهْلِهَا وَأَشْرَفُهُمْ نَجْرَا

لَفَرَّ وَخَلَّاهَا وَمَنْ بَرَجَهُ خَرَا

فَفي كُلِّ قُطْرٍ كُلِّ أَرْوَغٍ وارث

وَقَدِ مَلَكَتْ خَيْرَ الْبِلَادِ جَدُودُهُمْ

كَمَا اسْتَمَوْهَا سَلَمَوْهَا لِوُلْدِهِمْ

وَمَا زَالَتْ الْأَعْدَاءُ فِي كُلِّ فِرْصَةٍ

وَكَمْ دَوْلٍ يَوْمًا عَلَيْهِمْ تَضَافَرَتْ

وَكَمْ جَاهَدُوا فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ أُمَّةً

وَكَمْ عَالِمٍ مِنْهُمْ بَدَتْ شَمْسُ عِلْمِهِ

وَأَنْوَارُهُمْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

لِآبَاءِ صِدْقٍ قَبْلَهُ فَتَحُوا الْفِطْرَا

وَمَا رَهَبُوا قِتْلًا وَمَا رَهَبُوا أُسْرَا

وَمَا سَلَمُوا مِنْهُمْ لِأَعْدَائِهِمْ شِبْرَا

تُحَارِبُهُمْ وَالشَّرْكَ يُنْظَرُهُمْ شَزْرَا

فَخَابَتْ وَمَا نَالَتْ مِنَ الظَّفَرِ الظَّفْرَا

وَمِنْ لَحْمِهَا قَدْ أَشْبَعُوا الْحَوْتَ وَالنَّسْرَا

وَأَخْرَفَ فِي أَفْقِ الْوِغَا طَالِعَ بَدْرَا

عَلَى كُلِّ خَلْقٍ اللَّهُ قَدْ سَفَرَتْ سَفْرَا

فَقَدْ مَلَكَوا الدُّنْيَا وَكَانُوا جَمالِها

فَطائِفَةٌ بِالسِّيفِ تَحْمِي ذِمَارِها

وَكَلاهُما فَازَتْ بِفَضْلِ جِهاذِها

وَخُنُّ بَنوهِمْ كَيْفَ كُنَّا فَمَا لَنَا

وَمَا الفِرْقُ إِلَّا الدِّينُ قَدْ كانَ عِنْدَهُم

فَلَمَّا بَدَأَ مِنْ بَعْدِهِمْ ضَعْفُ دِينِنا

فِيا عَيْنِي اِنْهَلِي وَيَا قَلْبِي اتَّقِدْ

فَقَدْ أَصْبَحَ الإِسْلامُ ما بَيْنَ أَهلِهِ

كَمَا مَلَكَوا الأُخْرى وَكانُوا لَها فَخْرا

وَبِالْعِلْمِ وَالْأَقْلامِ طائِفَةٌ أُخْرى

وَكَيَسَتْ بِهِ مِنْ هَذِهِ هَذِهِ أُخْرى

نَحِيدُ وَلَا تَقْفُوا لِأَبائِنا إِثْرا

قَوِيًّا فَنالُوا مِنْهُ مِنْ قوَّةٍ شَطْرا

ضَعُفْنا فَلَمْ يَشْجُدْ بِنائِنا أَرْرا

وَيَا نَفْسِي اِزْفُرِي مِنْ سَعِيرِ الحِشا زَفْرا

غَرِيباً وَفِي أَوطانِهِ لَمْ يَجِدْ نَصْرا

وَصَالَ عَلَيْهِ الشَّرْكَ صَوْلَةً كَاسِرٍ
إِلَى اللَّهِ كَمَا أُمْسِي وَأُصْبِحُ دَاعِيًا
أُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ فِي النَّاسِ صَارِخًا
أُحَذِّرُ قَوْمِي مِنْ عُدَاةٍ تَأَلَّبُوا
لَقَدْ عَلِمُوا الْإِسْلَامَ حَصْنًا مُشِيدًا
فَسَاقُوا عَلَيْهِ مِنْ مَدَارِسٍ غِيَّهَم
مَدَارِسٍ فِي حُكْمِ الْكِنَائِسِ أَحْكَمَتْ
مَوَائِدُ عِلْمٍ تَحْتَوِي كُلَّ مَشْتَهَى

إِذَا هِيَ لَمْ تَقْتُلْ فَقَدْ أُوجِبَتْ كَسْرًا
فَاوْنَةً نَظْمًا وَأَوْنَةً ثَرَا
لَشِدَّةٍ وَجَدٍ أَجَّجَتْ فِي الْحَشَا الْجَمْرَا
عَلَيْنَا وَسَامُوا دِينَنَا الْخُسْفَ وَالْخُسْرَا
وَأَنَّهُمْ لَا يَظْفَرُونَ بِهِ قَهْرَا
جُيُوشًا بِلَا حَرْبٍ بِهَا أَحْرَزُوا النَّصْرَا
أَبَالِسُهُمْ فِيهَا الدَّسَائِسَ وَالْمَكْرَا
بِهَا وَضَعُوا سَمًّا بِهَا نَفَسُوا سِحْرَا

بِهَا انْقَلَبَتْ أَوْلَادُنَا مِنْ عُدَاتِنَا
وَمَا قَدْ جَنَوْنَا بَيْنَ الْأَنَامِ جَنَاتَهَا
إِلَهِي تَدَاعَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
نَعْمَ نَحْنُ أَذْنَبْنَا فَأَذَبْنَا بِهِمْ
عِتَاةً عَلَى الْإِسْلَامِ صَالُوا فَرَدَّاهُمْ
فَكَمْ قَهَرُوا قَوْمًا وَكَادَتْ نَفُوسُهُمْ
فِيَا رَبَّنَا اخْذِلْ كُلَّ مَنْ رَامَ دِينَنَا
فَفِي كَيْفِ وَقْتٍ نَحْنُ فِي حَاجَةٍ بِنَا

وَوَحَيْتِ الْبَلْوَى لَنَا نِعْمَةً كَبْرَى
مَلَّتْهُمْ مِنْ رَوْضِهَا الْحَنْظَلُ الْمَرَا
عَلَيْنَا وَصَرِينَا كَالْغِثَاءِ عَلَا النَّهْرَا
وَكَانَ لَنَا دَوْرٌ فَمَلَكْتَهُمْ دَوْرَا
بِذَرَّةٍ قَهَرٍ مِنْكَ تُهْلِكُهُمْ طَرَا
تُشَارِكُ رَبَّ الْعَرْشِ فِي بَطْشِهِ كِبْرَا
وَدَوْلَتْنَا بِالسُّوءِ وَامْنَحْ لَنَا النَّصْرَا
لِفَضْلِكَ إِنْ أَهْمَلْتَنَا لَمْ نَجِدْ خَيْرَا

مَضَى عَصْرُنَا شَرَّ الْعَصُورِ وَإِنَّهُ
أَرَى ذِمَّةَ فَرَضاً إِذَا مَا ذَكَرْتَهُ
تَبَدَّلَتْ الْأَحْوَالُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَصَارَ تَقِيُّ الْقَوْمِ أَحَقَّرَ قَوْمَهُ
وَكَانَ الرِّيَا فِي أَنْ يُرَى الْعَبْدُ صَالِحاً
فَكَمِ مِنْ تَقِيٍّ صَارَ يَظْهَرُ نَفْسَهُ
وَكَمِ مِنْ شَقِيٍّ حِينَ يُوصَفُ بِالتَّقِيِّ
وَكَمِ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ فِينَا مَنَافِقٌ

بِنِسْبَةِ هَذَا الْعَصْرِ أَكْرَمَ بِهِ عَصْرَا
فَإِنْ قَسْتَهُ بِالْيَوْمِ أَوْلَيْتَهُ شُكْرَا
وَأَصْبَحَ عَرَفُ الدِّينِ بَيْنَ الْوَرَى نَكْرَا
وَصَارَ شَقِيُّ الْقَوْمِ أَرْفَعَهُمْ قَدْرَا
فَصَارَ الرِّيَا فِي أَنْ يُرَى فَاسِقاً جَهْرَا
شَقِيّاً لِكَيْمَا يَتَّقِي بِالشَّقَا الشَّرَّ
تَبَرّاً حَتَّى لَا يُهَانَ وَلَا يُزْرَى
عَلَى غِيَةِ مِنْ خَوْفِهِ أُسْبَلُ السُّتْرَا

فَمَا اخْتَفَوْا فِي الدِّينِ إِلَّا لِحِكْمَةٍ

أُولَئِكَ أَهْلُ الذِّكْرِ كَانُوا حَيَاتِهِمْ

وَمَا الْقَصْدُ إِلَّا عِلْمُهُمْ وَهُوَ حَاصِلٌ

بِهِمْ أُمَّةٌ الْمُخْتَارِ فِي دِينِهَا اقْتَدَتْ

رَوَاهَا بِحُسْنِ الضَّبْطِ عَنْهُمْ أُمَّةٌ

وَمَا هِيَ إِلَّا مِنَ شَرِيعَةِ أَحْمَدٍ

وَقَدْ أَشْبَهَ الْإِسْلَامَ بَيْتاً مُرَبَّعاً

مَذَاهِبُهُمْ مِثْلُ الْمَرَايَا صَقِيلَةٌ

وَمَا ابْتَدَعُوا فِي الدِّينِ نَهْيًا وَلَا أَمْرًا

وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَبْقَى لَهُمْ رَبُّهُمْ ذِكْرًا

إِذَا خَاطَبُونَا أَوْ قَرَأْنَا لَهُمْ سَفَرًا

مَذَاهِبُهُمْ لِلْحَشْرِ لَا تَفْقَدُ النِّشْرًا

وَقَدْ مَلَأُوا الْأَقْطَارَ مِنْ نَشْرِهَا عَطْرًا

جَدَاوِلُ تُجْرِي كُلُّ قَوْمٍ لَهُمْ مَجْرَى

عَلَيْهَا اسْتَوَى قَصْرًا وَقَامَ بِهَا حَصْرًا

بِهَا ارْتَسَمَ الْقُرْآنُ وَالسَّنَّةُ الْغُرَى

فَوَاللَّهِ لَوْ خَيْرْتُ فِي خَيْرِ جَنَّةٍ
لَمَا اخْتَرْتُ إِلَّا نَسَبِي لِحَمْدٍ
كَمَا أَنَّي لَوْنَلْتُ خِدْمَةَ نَعْلِهِ
لَمَا اخْتَرْتُ إِلَّا خِدْمَتِي لِنَعَالِهِ
رَضِيْتُ بِهِ كُلَّ الرِّضَا لَسْتُ أَبْتَغِي
وَسَيْلُنَا الْعُظْمَى إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ
أَحَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ لِرَبِّهِ
وَمَا لَجَمِيعِ الْخَلْقِ عَنْهُ كَرْبِهِ

عَلَى أَنْ أَرَى مِنْ غَيْرِ أُمَّتِهِ الْغَرًّا
وَإِنْ كُنْتُ فِي الْجَنَّاتِ أَدْنَى الْوَرَى قَدْرًا
وَعِنْدَ جَمِيعِ الرُّسُلِ سُلْطَنَةً كَبْرَى
وَذَلِكَ فَخْرٌ لَا أَرَى مِثْلَهُ فَخْرًا
بَدِيلًا بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَالْآخِرَى
أَجَلُ الْوَرَى عَنْهُمْ غَنَى وَلَهُ فَقْرًا
وَأَعْظَمُهُمْ خَوْفًا لَهُ وَلَهُ شُكْرًا
غَنَى فَلَقَدْ وَلَّاهُ خَالِقَهُ الْأَمْرًا

حَبَاهُ الْعَطَا وَالْمَنْعَ فِي كُلِّ كَائِنٍ

فَلَيْسَ لِكُلِّ الْخَلْقِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ

وَمَهْمَا يَكُنْ لِلشَّافِعِينَ شَفَاعَةٌ

وَأَعْظَمُ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ هِدَايَةٌ

وَأَعْظَمُ كُلِّ الْكَافِرِينَ ضَلَالَةٌ

وَأَقْسَمُ لَوْ كَلُّ الْخَلِيقَةِ قَارَفَتْ

فَأَصْلِحْ لِي يَا اللَّهُمَّ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي كَثِيرَةً

وَمِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ حِجَابَتِهِ الْكُبْرَى

إِلَى اللَّهِ فِي الدَّارَيْنِ وَاسْطَةَ أُخْرَى

فَشَافِعُ كُلِّ الشَّافِعِينَ أَبُو الزَّهْرَا

أَشَدَّهُمْ حُبًّا لَهُ وَبِهِ بَرًّا

أَشَدَّهُمْ بُغْضًا لَهُ وَبِهِ كُفْرًا

عَدَاوَتُهُ لَمْ تَلَقَ مِنْ رَبِّهَا خَيْرًا

بِحَسَنِ خَتَامٍ مِنْكَ يَصْلِحُ لِي الْآخِرَى

وَلَا وَرَزُّ مِنْ تَوْبَتِي يَدْفَعُ الْوِزْرَا

فَعَفْوُكَ إِكْسِيرٌ إِذَا ذُرُّ ذُرَّةٍ

وَقَدْ تَمَّ لِي إِحْدَى وَسِتُّونَ حِجَّةً

وَإِنْ فَاتَنِي مَا حَازَهُ كُلُّ صَالِحٍ

فَتَوَحَّيْدِكَ اللَّهُمَّ خَيْرُ ذَخَائِرِي

عَلَيْهِ صَلَاةٌ مِنْكَ مَسْكُ خَتَامِهَا

عَلَيْهَا اسْتَحَالَتْ نَارُهَا جَنَّةً خَضْرَاءَ

بِفَضْلِكَ إِسْلَامِي بِهَا لَمْ يُشَبَّ كَفْرًا

بِكَنْزٍ مِنَ الْأَعْمَالِ قَدْ ذَخَرَ الْأَجْرَاءَ

وَحَسْبِي بِجَاهِ الْمُصْطَفَى بَعْدَهُ ذُخْرًا

يُضَمِّحُ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ عَطْرًا